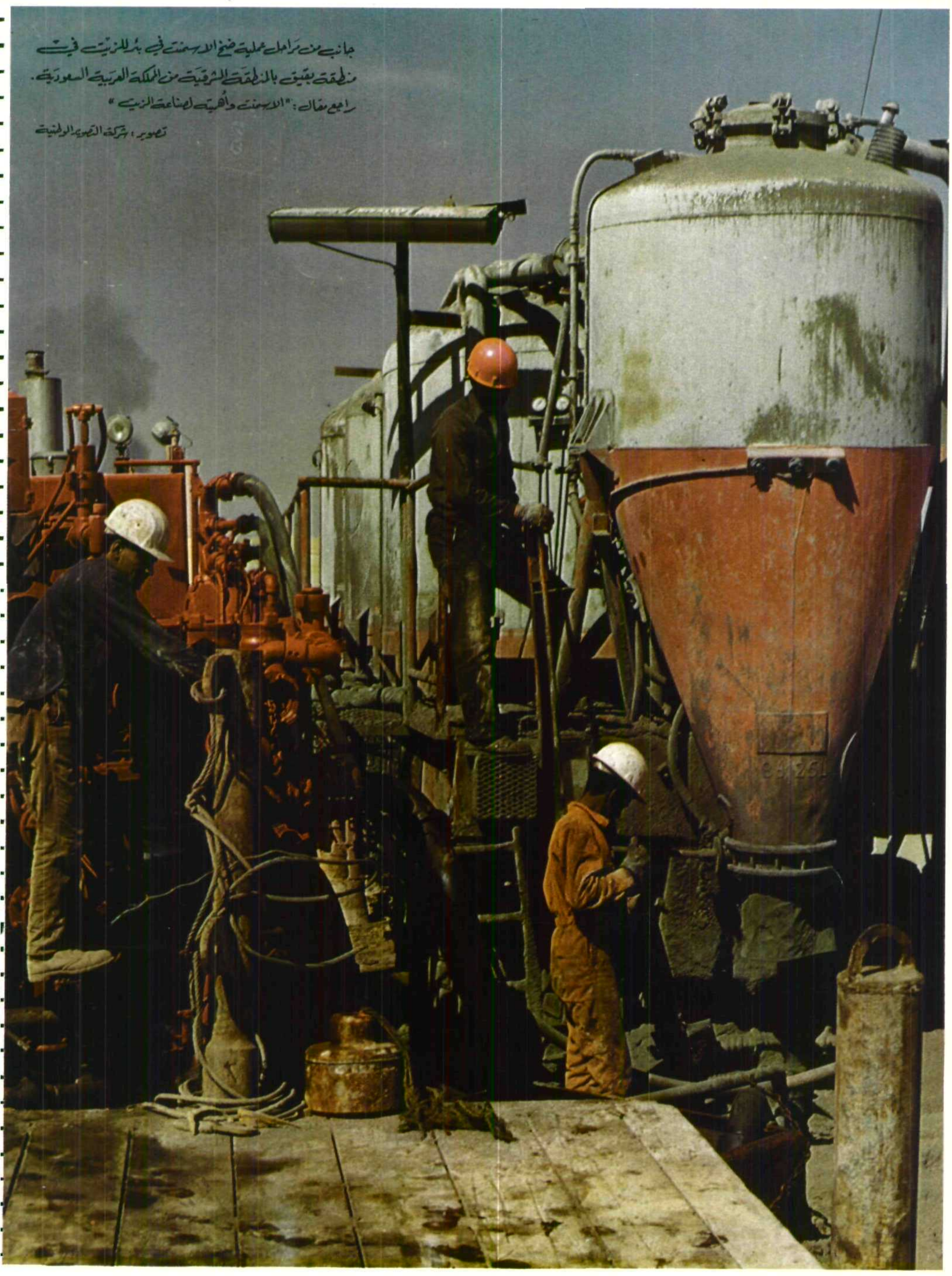
قافلة الزيت

رمضان ١٣٩٥ - سبتمبر - اكتوبر ١٩٧٥





جانب من مراحل عملية ضخ الاسمنت في بئر للزيت في منطقة بقيق بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.
راجع مقال: "الاسمنت وأهميته لصناعة الزيت"

تصوير: شركة التصوير الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي المحرر المساعد: عوني أبو كشك

العدد التاسع المجلد الثالث والعشرون

محتويات العدد

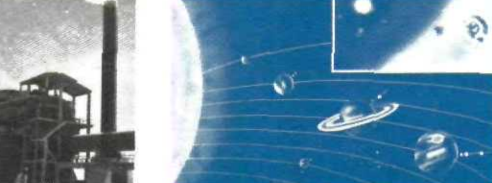
بحوث ادبية







بحوث علمية





استطلاعات مصورة

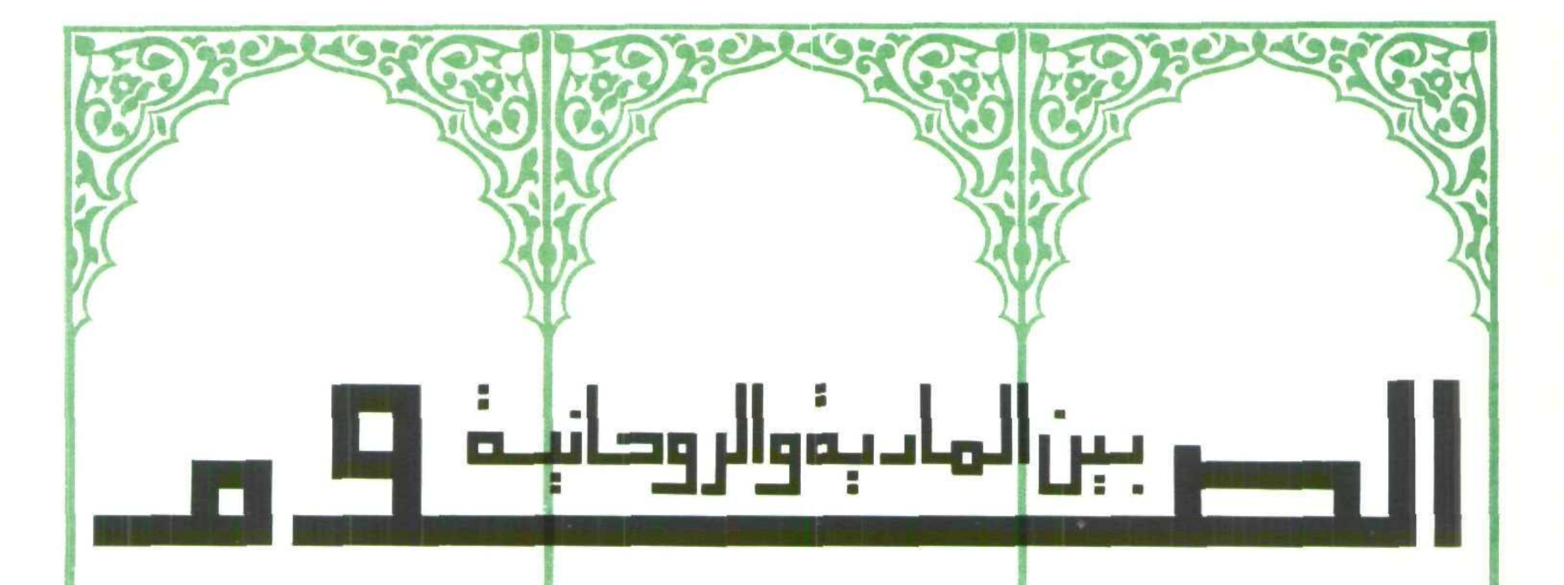




التعليق على صورة الغلاف

جانب من مدينة جدة كما تبدو من البحر
راجع مقال : « جدة .. مدينة الصناعة والتجارة »
تصوير : شيخ امين

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



الصوم بين المادية والروحانية

الصوم عبادة قديمة وشأن فطري يلجأ اليه على فترات وان اختلفت الصورة والأوقات باختلاف العصور والأمم ، وقد عرف كوسيلة من وسائل التقرب إلى الله وعرف كوسيلة من وسائل العلاج والرياضة والتهذيب . . ومما يدل على قدمه قول الله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .**

فالله سبحانه وتعالى يبين للمسلمين أن فرض الصيام ليس جديداً في شرائعه عليهم وإنما هو تشريع قديم شُرّع للأمم السابقة أيضاً . وفي هذا البيان إشعار أيضاً من الله تعالى لأمة محمد فيه تلطف وتلطيف لتستريح نفوسهم ويتيسر لهم القبول والطاعة وكيلا يشعروا بالحرج إذ أنهم ليسوا وحدهم المطالبين بالصيام . وهو مع فرضيته تقوى وإصلاح روعي فيه جانب الاستطاعة وعدم الحرج والمشقة . . وقد عرف الصوم عند قدماء المصريين والهنود كما عرف عند اليونان والرومان حتى ان الوثنيين من الهنود ما زالوا يصومون إلى الآن وان كان صيامهم ليس قربة لله وإنما لتسكين آلهتهم المزعومة وارضائها اذا هم شعروا بأنهم اغضبوها .

كما عرف الصوم لدى اليهود والنصارى ولا زالوا يصومون وان كانوا على طريقة غير الطريقة الاسلامية كما ثبت عندهم صوم موسى وعيسى عليهما السلام والحواريين من أتباع عيسى وأنصاره .

وكان الصوم معروفاً عند العرب قبل فرضه فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يصوم يوم عاشوراء تطوعاً قبل فرض صوم رمضان حتى انه صامه في مكة قبل هجرته إلى المدينة المنورة لما روى البُخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما قالت : كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . .

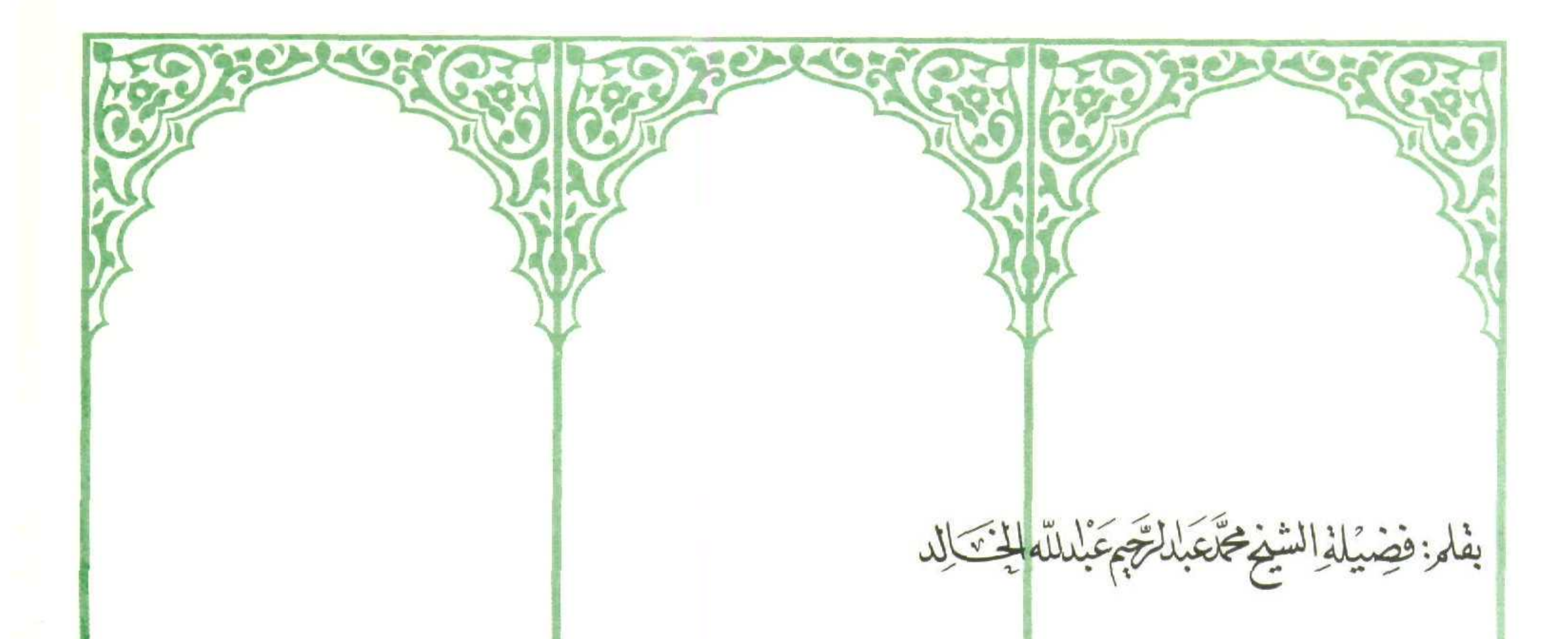
وفي شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة فرض الله صيام رمضان على الأمة الاسلامية بقوله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات . .)** فكان صوم شهر رمضان فرضاً على كل مسلم عاقل بالغ لقوله تعالى **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** ولقوله صلى الله عليه وسلم « بُنِيَ الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا » ، **ولقوله** (صلعم) صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً » وقد انعقد الاجماع على فرضيته ومن أنكر الفرضية فهو كافر .

والصوم في اللغة الامساك مطلقاً فمن أمسك عن الحركة أو الكلام أو الطعام يقال له صائم ومن هذا قول الله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام « **إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسيا** » وعلى هذا أيضاً يحمل قول النابغة الذبياني :

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج واخرى تعلك اللجما

أي خيل ممسكة عن الحركة والجري وأخرى تجري وتتحرك . .

أما الصوم من الوجهة الشرعية : فهو إمساك بنية التعبد عن الاكل والشرب والملابسة الجنسية وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . . وهذا التحديد يعني الجانب السلبي من الصيام ، والاقتصار على ما ذكر يخرج من عهدة التكليف وفيه تأدية للفريضة لأن هناك جانباً أعم من هذه الحقيقة . بدأ الله سبحانه وتعالى آية الصوم بنداء بوصف الايمان الذي هو أساس الخير ومنبع الفضائل . واختتم الآية بذكر التقوى التي هي روح الايمان وهذا بلا شك يدل على أن الصوم السامي ليس مجرد إمساك عادي عما ذكر ، وإنما هناك إمساك مطلوب من نوع آخر ، إمساك عن كل ما ينافي حقيقة الايمان ويتعارض مع التقوى ، وإن الإمساك عن الأكل والشرب والجنس مظهر مادي تكمن وراءه حكم أخرى وفوائد عظيمة يتجلى منها . . كون الصيام موجباً لسكون النفس الآمارة بالسوء وكسر سورتها من الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج . . وكونه موجباً للرحمة والعطف على الفقراء والمساكين فاذا ما ذاق الغني ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذه حاله في جميع الأوقات فيسرع اليهم رقة وعطفاً ورحمة . وكونه سبباً للمحافظة على الأمانة وعدم تضييعها اذ ان من أمسك عن المفطرات طوال النهار فقد التزم بالأمانة التي



بقلم: فضيلة الشيخ محمد عبد الرحيم عبد الله الخالد

أودعها الله اياه . . وكونه ينمي ملكة الاحساس بعظم ألوهية الله تعالى وشدة مراقبته لأن الصوم موكول إلى نفس الصائم وشرفه لا رقيب عليه إلا الله تبارك وتعالى وهو سر بين العبد وربه لا مشرف عليه أحد غيره ولا مراقب ولا مطلع عليه أحد سواه ولهذا جعل الله الصوم له وهو الذي سيجزي عليه اذ لا يعلم مقدار جزاء الصائم إلا الله سبحانه وتعالى .

إذاً فمن حكمة الحقيقة غرس خلق المراقبة وخلق الصبر في نفس المؤمن وبذلك تصدق النية وتقوى العزيمة وبهما يتغلب على ما في الحياة من نوازع الشهوة والهوى ودوافع الغضب والانتقام . وفي الحياة كثير من الخطوب التي تعترض الانسان وليس لها إلا التسلح بسلاح الايمان والتذرع بخلق الصبر الذي ينميه الصيام . وللصوم بجانب تعويده الصبر وضبط النفس والوقوف في وجه المغريات وتنمية ملكة الاحساس والتقوى ومراقبة الله له فوائده الاجتماعية . فصيام أمة وافطارها بموجب واحد وتحت مسمى واحد يتحقق عند الجميع وفقاً لجغرافية بلدهم أعظم اتحاد واتم نظام . . وأمة يشترك أفرادها على مختلف طبقاتهم في إمساك مطلق ولمدة معينة فهي أمة يسود فيها العدل والمساواة . . وأمة يسود فيها العطف وتغشاها الرحمة ويعمها البر ويكثر فيها الإحسان فهي أمة صالحة سعيدة والصوم يحقق هذا . .

وبجانب هـــذه الفوائد والحكـــم الدينية والاجتماعية فهناك فوائد صحية للصوم منها انه ينفي المواد الراسبة في البدن ويطهر الأمعاء ويذيب الشحم أو يحول دون كثرته في الجوف وهو ما يسمى « بالكلوستيرول » الخطر على القلب . ويساعد على شفاء كثير من الأمراض المستعصية ، وأكثرها تأثراً بالصوم أمراض المعدة وأمراض الدم والعروق والجلد والمفاصل . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول « **صوموا تصحوا** » . والله سبحانه وتعالى حين يخصص شهراً معيناً لتؤدى فيه فريضة الصيام لا بد وأن تكون هناك حكمة في هذا التخصيص ، يقول الله تعالى : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)** . فالله تعالى يشير إلى هذه الحكمة وإلى النعمة الكبرى التي ظهرت في هذا الشهر والتي يجب أن تقابل بالشكر وهي نعمة بدء نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . والقرآن يطهر القلوب ويسمو بالروح ولا بد أن يكون الشكر من جنس النعمة ، فعبادة الصوم تطهر القلوب وتسمو بالروح فكانت مناسبة جميلة وحكمة جليلة . . وفي هذه الحكمة تمرين على الاتحاد والتآلف الذي يريده الاسلام من معتنقيه ولقطع دابر الفوضى اذ لو فُوِّض لأهل كل بلد أو اقليم تعيين شهر يختارونه لاداء هذه الفريضة لكان ذلك داعياً إلى الاختلاف والتفكك في ركن من أركان الاسلام . وإذا كان من أسرار الصوم أن الانسان اذا ذاق مرارة الجوع وشدة الظمأ تذكر اخوانه المحتاجين دائماً والبائسين وحصل لديه عطف ورحمة وشفقة . لذلك ناسب أن يشرع الصيام نهاراً لأنه أدعى إلى المشقة بالبدن والنفس فيكون ذلك أدعى لحصول المقصود من السبب فتتحقق النتيجة من الاخاء والتعاطف . والله تعالى اذ فرض علينا الصوم فهو لم يكلفنا شططاً ولم يرهقنا من أمرنا عسراً ، وإنما نظر عطفاً وتلطفاً على ما قد يطرأ علينا من أعذار ويشق علينا معها الصيام ، كأن يكون أحدنا مريضاً ، أو مسافراً ، أو صحيحاً مقيماً ولكنه يشق عليه الصيام ويعرضه للخطر في نفسه أومن هو مسؤول عنه ، كالكبير والحامل والمرضع ، لهذا نجد الله تعالى قد أباح للمريض إذا كان الصوم يضر به ، أو كان المرض لم يمكنه من الصوم ، أن يفطر وعليه القضاء . وكذا المسافر اذا كان الصوم يؤثر في سفره ، أو كان السفر لا يمكنه من الصوم أن يفطر وعليه القضاء ، لقوله تعالى **(فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** . والمريض الذي لا يرجى برؤه فله أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً ويجوز في القضاء المتابعة والتفريق — كما رخص الله سبحانه وتعالى للشيخ الكبير والشيخة اذا ادركهما الهرم وأجهدهما الصوم أن يفطرا ويطعما عن كل يوم مسكيناً ، ولا قضاء عليهما لقول الله تعالى **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** . قال ابن عباس رضي الله عنهما ليست بمنسوخة هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعما مكان كل يوم مسكيناً .

كما رخص الله سبحانه وتعالى للحامل والمرضع بالافطار في نهار رمضان اذا خافتا على نفسيهما فقط أو على الولد أو هما معاً لقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ،

وعن الحبلى والمرضع ثم هل عليهما قضاء وكفارة أو قضاء بلا كفارة او كفارة بلا قضاء ، اختلف العلماء في ذلك وكل فريق يذهب إلى قوله يتجه له دليل في ذلك وقيل في هذا . . ان أحوط الأقوال من قال بالقضاء والكفارة وايسرها من قال بالكفارة دون الصيام وأعدلها من قال بالقضاء دون الكفارة وافقهها من فرق بين من خافت على نفسها والولد فعليها القضاء فقط وبين من خافت على الولد فقط فعليها القضاء والكفارة .

ولما كان الانسان عرضة للنسيان اذ هو من طبعه ولا يستطيع التغلب عليه ولا يملك رده لكونه خارجاً عن ارادته ، فهنا تتجلى سماحة الاسلام ويسره في هذه الفريضة ، فرفع الأثم عنه لكونه ناسياً او مخطئاً أو مكرها كمن أكل أو شرب ناسياً في رمضان . . او ذرعه القيء بدون تعمد منه أو الاستحاضة او وصل إلى حلقه ما لا يستطيع رده كغبار الطريق وما في حكمه ، أو وصل إلى حلقه شيء إثر طلب لازم كوصول الماء إلى الحلق بعد المضمضة والاستنشاق عن غير مبالغة ، أو ذوق الطعام لئلا يؤدي إلى فساد صنعه أو أصبح جنباً او احتلم وهو نائم نهاراً فهؤلاء لم يفطروا بهذا وليس عليهم قضاء بل عليهم الامساك ومواصلة الصيام لأن تكليف الله لعباده كما قلنا لم يقصد منه إرهاق ولا تعسير وإنما قصد منه التقوى والتطهر ، ولذلك بني على اليسر والابتعاد عن العسر مع المحافظة على الاكمال والاتمام وتعظيم الله بما هو اهل له **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)**.

ولقائل أن يقول اذا كان من ذرعه القيء لا يفطر ولا يقضي ولا يطعم لكون ذلك خارجاً عن ارادته فلماذا تقضي الحائض والنفساء مع أن دم الحيض خارج عن ارادتها ولا تملك رده . وبالامكان أن يرد على هذا السؤال بأن القيء غير الارادي لا يعرف له وقت ولا يضعف البدن لندرته وليس محلاً لعدم صحة العبادة معه بخلاف دم الحيض فانه في الغالب له وقت معلوم وفي خروجه إضعاف لبدن المرأة وإنهاك لقواها وصومها معه يوجب نقصان بدنها وضعفها . والحيض مناف للعبادة فلم يشرع الصوم ولا الصلاة للمرأة في زمنه ويجب عليها قضاء رمضان فقط دون الصلاة لكونه شهراً واحداً في العام وليس في قضائه مشقة بخلاف الصلاة فانها تتكرر فتحصل مشقة القضاء وهذا من محاسن الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصلحة المكلفين ومن كمال يسرها وسماحتها . .

ومن هذا اليسر أيضاً أن سكان البلاد التي يطول ليلهم ونهارهم إلى مدة غير مقدورة فهؤلاء يقدرون أوقات صيامهم على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة او المدينة ورجح كثير من العلماء انهم يقدرون أوقات صومهم على أقرب بلاد معتدلة لديهم .

والله سبحانه وتعالى اذ عين شهر الصيام ولم يترك اختياره للناس قطعاً لدابر الاختلاف في ركن من أركان الاسلام فان الأمر يتطلب معرفة بداية هذا الشهر ومعرفة نهايته والتحري لذلك ، وهذا أمر محسوس اذ ان جميع الأحكام التعبدية في الاسلام مبنية على ظاهر لا غموض فيه وليس لأحد أن يكيفه حسب رغبته أو هواه ، ولهذا فان بداية شهر الصوم او نهايته هو بأحد أمرين ظاهرين ، إما رؤية الهلال ليلة الثلاثين من شهر شعبان للبدء أو ليلة الثلاثين من رمضان للنهاية أو اكمال شهر شعبان ثلاثين يوماً لبدء الصيام أو اكمال شهر رمضان للفطر . فمتى ثبتت الرؤية او الاكمال حسب الوجه الشرعي لزم الصوم لقول الله تعالى **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** ولقوله صلى الله عليه وسلم (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروا الهلال فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين يوما) وهذا الحديث صالح للاستدلال به على الصيام والافطار لأنه ان غم هلال شهر رمضان تممنا شهر شعبان ثلاثين يوماً ثم صمنا ، وإن غم هلال شهر شوال تممنا شهر رمضان ثلاثين يوماً ثم أفطرنا . ومتى ثبتت الرؤية في اقليم ما فهل يلزم سائر الأقاليم الصيام او الافطار ؟ هذه المسألة محل خلاف كبير والذي يظهر لي ان البلد الذي يرى الهلال أو ثبتت عنده رؤية غيره فله العمل بما ثبت من صيام أو افطار .

وللصوم اركان ثلاثة هي : النية ، والامساك والزمن . . والنية عزم القلب على الصوم امتثالاً لأمر الله عز وجل . فان كان الصوم فرضاً فيجب تثبيتها ليلاً قبل الفجر ولا يشترط فيها التلفظ ويكفي ما يشعر بها ويدل عليها من السحور ونحوه ويستحب تجديدها كل ليلة ما لم ينقطع الصوم بمثل سفر أو مرض أو حيض او نفاس فانه عند ذلك يتعين تجديدها عند استئناف الصوم . .

والامساك هو الكف عن المفطرات من أكل وشرب وجماع والزمان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . .

وكما ان للصوم أركاناً فان له سنناً وأدباً يليق بالمؤمن المخلص في عبادته المتقرب لربه أن يحافظ عليها ويقوم بها . من ذلك تعجيل الفطر متى تحقق غروب الشمس وأن يقدمه على صلاة المغرب ولو على شربة ماء وذلك لسرعة الامتثال لأمر الله وإظهار نعمة الله باباحة ما كان ممنوعاً والتفرغ لصلاة المغرب . وقد دفع الصائم عن نفسه غائلة الجوع والعطش والرفق بالضعفاء والرحمة بالعاجزين ، وأن يكون الفطر على رطب أو تمر وترا او ماء ، وفي هذا فائدة صحية أيضاً إذ أن الصائم يحرق كثيراً من سكر الجسم ويفقد الجسم كثيراً من الماء فالتمر يعوض نقص السكر ، والماء يبرد الكبد وهما غير مرهقين بالمعدة الخالية وأن يدعو عند إفطاره بما ينفعه فدعوته مقبولة عند الله وإن يؤخر السحور إلى قرب الفجر ما أمكنه ليكون له عوناً في يومه ، والسحور من خصائص الأمة المحمدية،وأن يبتعد عن كل ما يفسد صومه من المبالغة في المضمضة والاستنشاق وإدامة النظر إلى الزوجة والتفكير في شأن الجماع واللمس والمباشرة بالجسد وما يضعفه في صومه كالحجامة والفصد،والابتعاد عما يخدش الصوم من الغيبة والنميمة والكذب والسباب ونحوه . فان كل هذا من التقوى المأمور بها وصدق الله العظيم حيث يقول **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** ●

محمد عبد الرحيم الخالد – رئاسة القضاة – الدمام

الغزوة الكبرى

للشاعر: خالد مصباح مظلوم

رأى الخلاّقَ أن الخلْقَ في قلق وفي أزمه

فأوحى للرسول بأن ... ينير بهديه الأمه
فلبى العبدُ سيده ... ولم يخفر له ذمه
دعا لسبيل بارئه ... تُجلّلُ وعظه البسمه
وبعض القوم قد فقهوا ... وبعض لم يشأ فهمه
وطائفةٌ تؤيده ... وأخرى أهدرت دمّه

* * *

وظل المسلمون يقا ... رعون الجهل بالحكمه
فكم ذعروا وكم صبروا ... وكم جاعوا ، وكم أزمه
وبعد الذل أظفرهم ... وأنجاهم من الغمه
رسول الله صلى الله ... كان الصبر والرحمه

* * *

قريش حاولت اغرا ... ءه بالثروة الضخمه
ليعبد نفس ما عبدوا ... ويمسي مثلهم يعمه
ولكن الرسول أبى ... وأشهر ضدهم سهمه
فليس لنفسه يسعى ... ليصلح أمر ذي الأمه
وليست روحه إلاّ ... بنصر الحق مهتمه

* * *

أبو جهل بجحفله ... أتاهم نافثاً سمه
فهب المسلمون لهم ... أحالوا وجههم فحمه
وانزل ربُك الأمطا ... ر في صيف بلا غيمه
يطهرهم من الشيطا ... ن يعلي فيهم الهمه

* * *

وإذ بمحمد يرمي ... فما هو من رمى خصمه
ولكن الاله رمى ... لينصر ربنا حكمه
وينقل زمرة الايما ... ن من شعت الى أمه
فأرسل من ملائكه ... بألف فرّجوا الازمه
أراه ربه الاعدا ... قليلاً لحظة النومه
ليرفع معنويات ... لهم فيقاوموا الصدمه
ويقطع دابر الاصنا ... م والازلام والطغمه
وينصر دينه الاسمى ... ويرفعه إلى القمه
لتبقى شعلة الاسلا ... م تهدي هذه الأمه

* * *

يُدان الكون أجمعه ... بكل تقدم ضمه
لهذي الغزوة العظمى التي فيها بنى حلمه
وكانوا قبل بدر لا ... يذيقون العدى هجمه
وصاروا بعدها جيشاً ... تغذي ناره النجمه

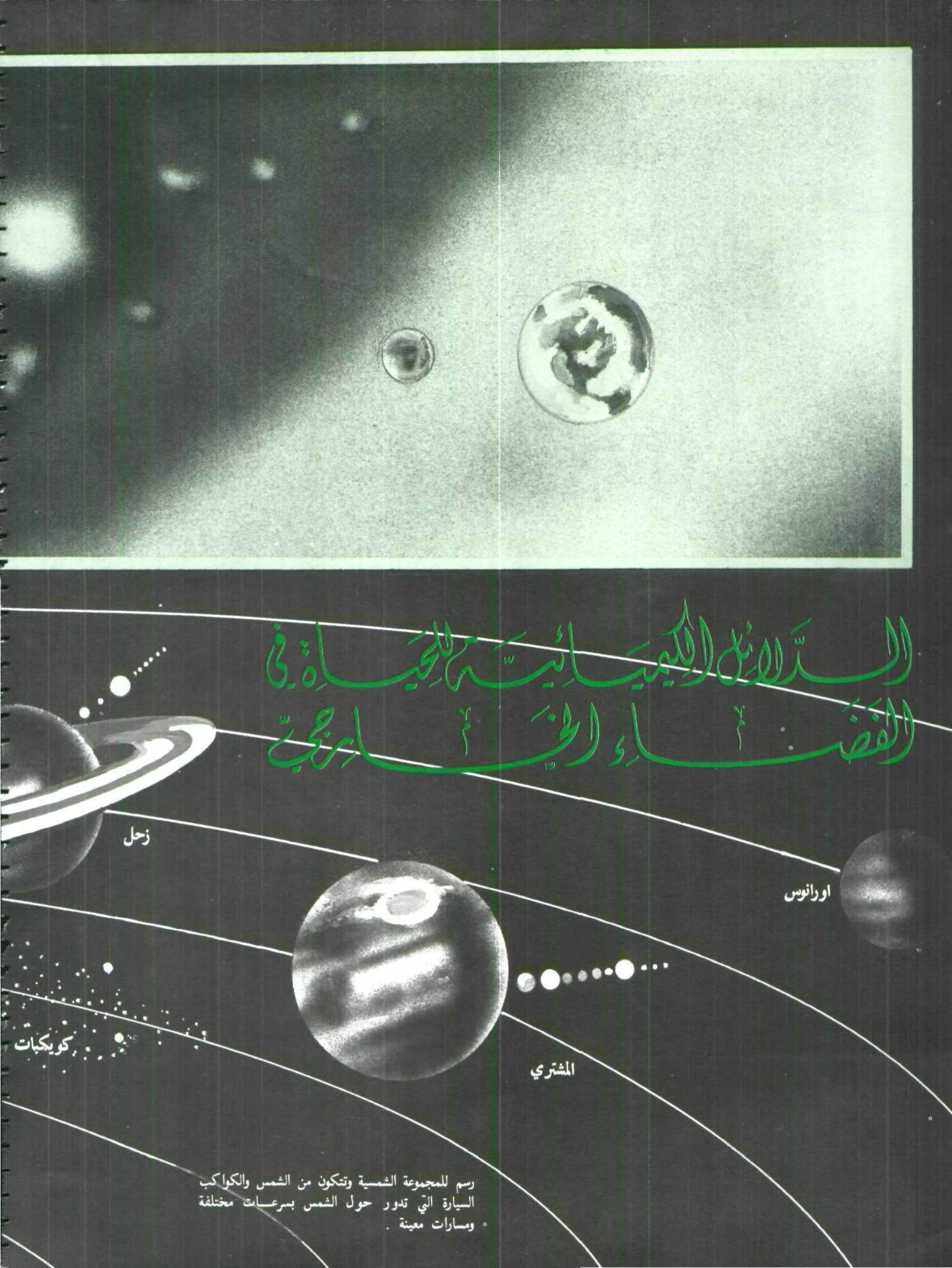
* * *

فلولا فضل ربك كا ... ن هذا الكون في عجمه
ولكن الاله يسخر الانوار للظلمه
فلولا الدين كان الكو ... ن في فُحش وفي نقمه
فراغات بلا معنى ... وآفاقاً بلا نسمه
وأشلاء من الفوضى ... يغلل جهله علمه

خالد مصباح مظلوم — دمشق

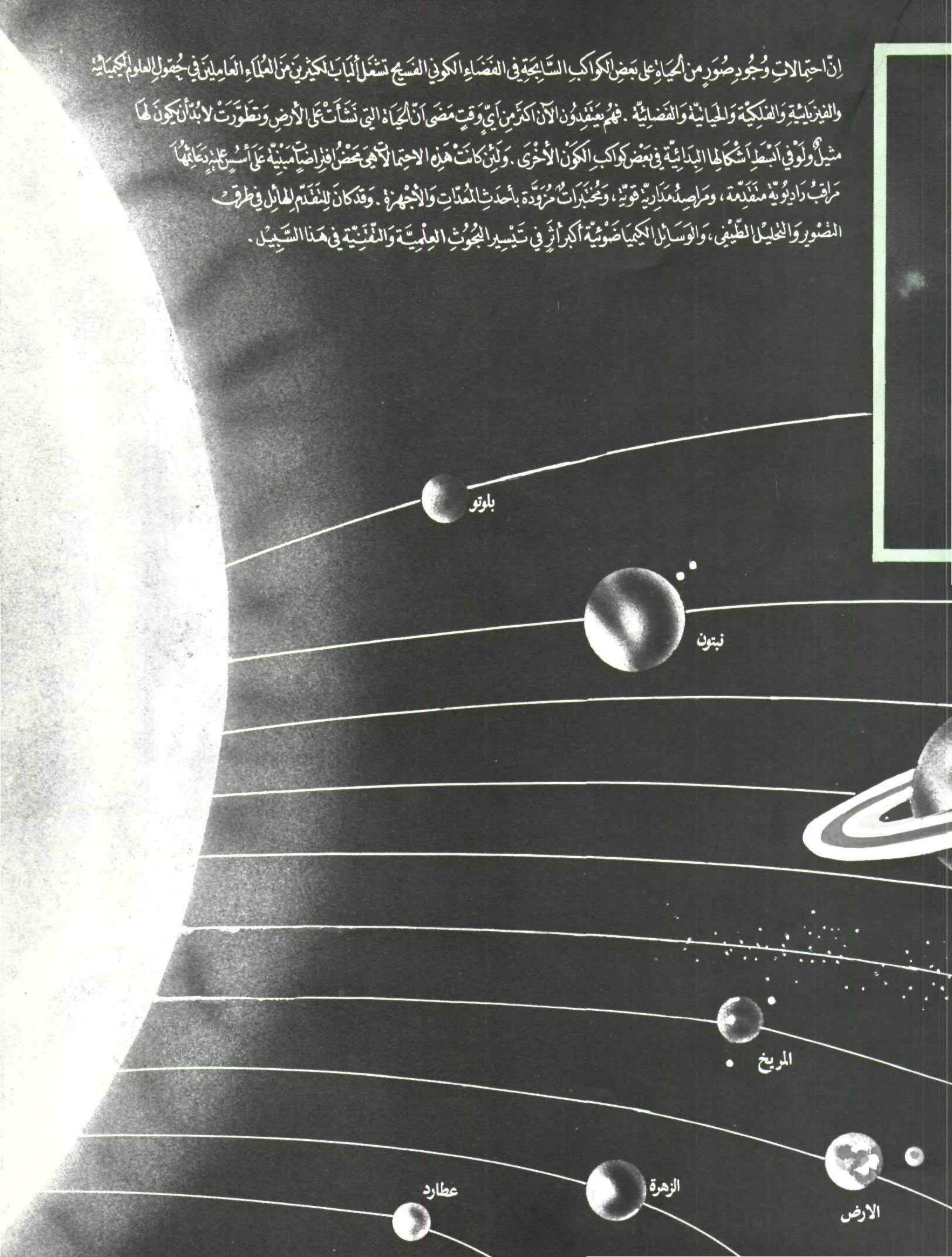


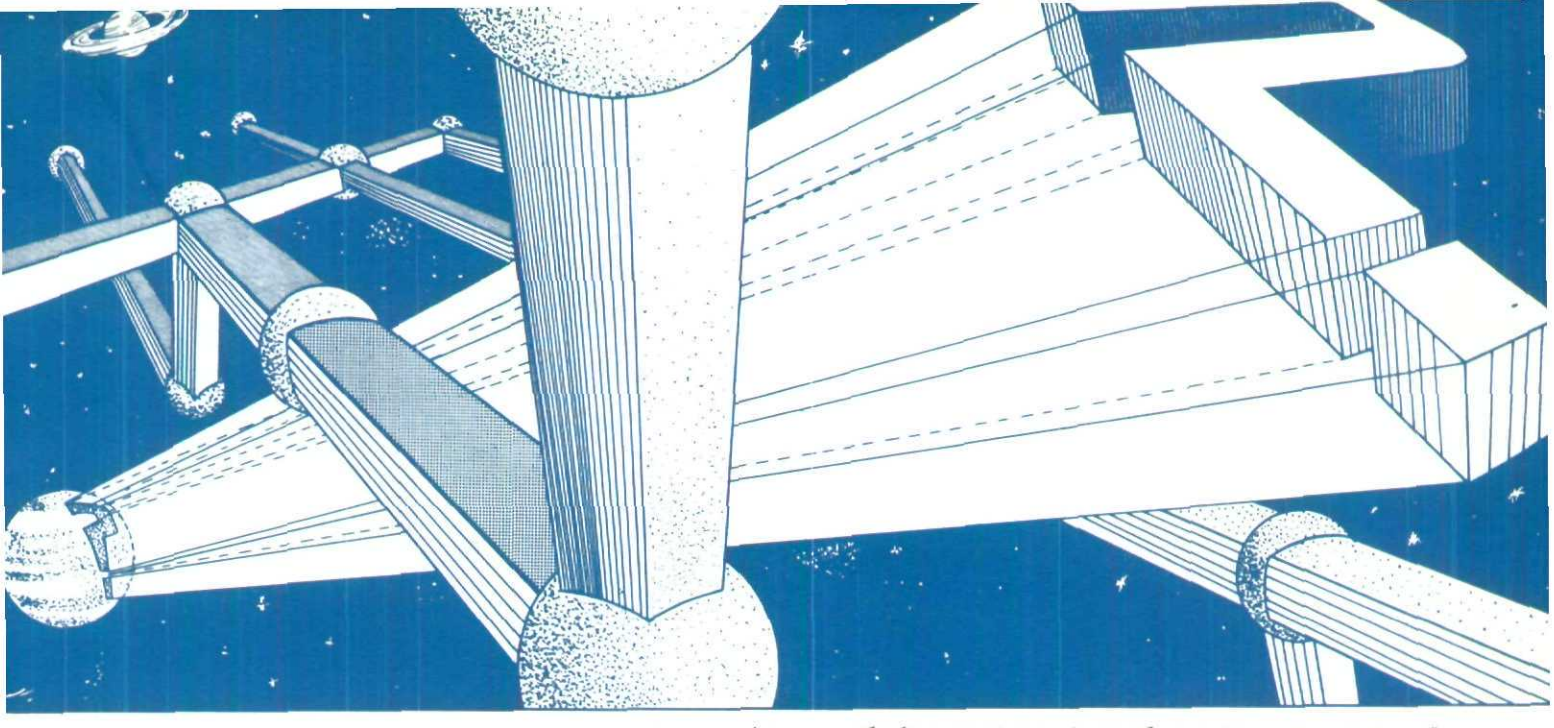
الدلائل الكيميائية للحياة في الفضاء الخارجي



رسم للمجموعة الشمسية وتتكون من الشمس والكواكب السيارة التي تدور حول الشمس بسرعات مختلفة ومسارات معينة .

إنّ احتمالاتِ وُجودِ صُورٍ من الحياةِ على بعضِ الكواكبِ السّابحةِ في الفضاءِ الكونيّ الفسيحِ تشغلُ ألبابَ الكثيرينَ منَ العلماءِ العاملينَ في حقولِ العلومِ الكيميائيّةِ والفيزيائيّةِ والفلكيّةِ والحياتيّةِ والفضائيّةِ. فهم يعتقدونَ الآنَ أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى أنّ الحياةَ التي نشأتْ على الأرضِ وتطوّرتْ لا بُدّ أن يكونَ لها مثيلٌ ولو في أبسطِ أشكالِها البدائيّةِ في بعضِ كواكبِ الكونِ الأخرى. ولئن كانتْ هذهِ الاحتمالاتُ هي محضُ افتراضاتٍ مبنيّةٍ على أسسٍ علميّةٍ دعائمُها مراقبُ راديويّةٌ متقدّمة، ومراصدُ مداريّةٌ قويّة، ومختبراتٌ مزوّدة بأحدثِ المعدّاتِ والأجهزةِ. وقد كانَ للتقدّمِ الهائلِ في طرقِ التصويرِ والتحليلِ الطّيفي، والوسائلِ الكيمياضوئيّة أكبرُ أثرٍ في تيسيرِ البحوثِ العلميّةِ والتقنيّةِ في هذا السّبيل.





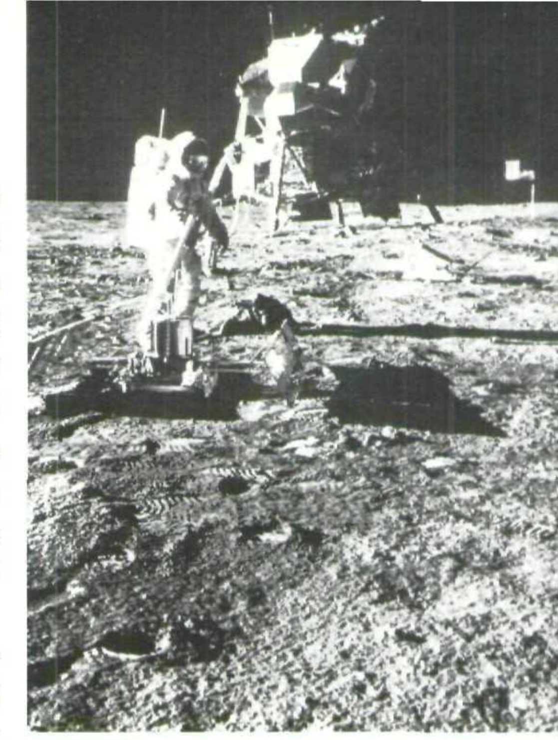
رسم للمجموعة الشمسية وعلامة استفهام كبيرة حول ماهية الحياة على الكواكب السابحة في الفضاء الخارجي ويبدو الى اليسار الانسان وهو على سطح القمر

ما الرغبة الملحة لدى الانسان في سبر أغوار المجهول . واستكناه بعض أسرار النظام الكوني واستجلاء معالمه الفسيحة ، الا جذوة متأججة في ثنايا العقل البشري الذي لن يخمد له أوار ولن يستقر له قرار حتى يرث الله الأرض ومن عليها . لقد قضى الانسان قروناً طويلة قبل أن يدرك الحجم الحقيقي للمجموعة الشمسية بكواكبها السيارة التي تجري في مدارات تفصل بعضها عن بعض آلاف الملايين من الأميال ، ناهيك عن الأبعاد الشاسعة التي تفصل بين مجرتنا وبين المجرات الأخرى بنجومها وكواكبها . هذا من ناحية الحجم واتساع الكون ، أما من ناحية أعمار المجرات فتلك قضية أخرى لا تزال موضع جدل ودراسة . ففي تقدير فريق من الفلكيين أن مجموعتنا الشمسية تقارب في عمرها نحو ٥٠٠٠ مليون سنة ، وفي داخل هذه المجموعة ظهرت الحياة في أبسط صورها البدائية على سطح الكرة الأرضية منذ نحو ٢٥٠٠ مليون سنة ، ومع ذلك ففي ملايين السنوات القليلة الأخيرة فقط هيمن الانسان على الأرض وأخذ يرقى سلم الحضارة بتؤدة حيناً وبسرعة أحياناً حتى بلغ ما هو عليه الآن من تقدم علمي وتقني ، تجلى فيما حققه من انجازات مذهلة في علوم الفضاء . وقبل أن يرنو العلماء ، ولا سيما علماء الحياة إلى الكواكب البعيدة لاستكشاف بعض أشكال الحياة فيها ، رأوا أن تكون نقطة الانطلاق من الأرض التي يعيشون عليها لدراسة كيفية نشوء الحياة فيها وتحديد الشروط الضرورية لها ، والنواميس الأساسية التي تحكمها ، والأجواء الملائمة التي تكيفت في محيطها الحياة البدائية ثم تطورت .

لقد كان للتقدم العلمي في المجال الكيميائي والفيزيائي أثره الواضح في قلب مفاهيم علمية عديدة كانت سائدة حتى مطلع القرن العشرين . فحتى الثلاثينات من هذا القرن كان أكثر الكائنات الحية بدائية يبدو للعلماء على قدر كبير من التعقيد المذهل . ان الحياة ، في واقع الأمر ، هي أمر خارق ومعجزة الهية ، ومع ذلك فالحياة موجودة بالفعل وبما لا يقبل الشك على الأرض ، هذا الكوكب الثالث من كواكب المجموعة الشمسية . ومن هنا كانت الرغبة الملحة تحدو العلماء لاستكناه أسرارها وفتح مغاليقها والوقوف على دقائقها . ففي النصف الثاني من القرن العشرين لم تعد الحياة ذلك اللغز الذي وقف حياله علماء الأجيال السابقة مشدوهين ، اذ استطاع العلماء باكتشافاتهم العلمية اماطة اللثام عن تركيب الخلية التي هي وحدة بناء الكائن الحي ، والجزء المشترك في كل ذي روح ، من الانسان ، كأدق جهاز أبدعه الله ، إلى الجرثومة ، ومن الحوت الأزرق الضخم إلى الفراشة الصغيرة . وعالم البيولوجيا يقف اليوم حيث وقف عالم الفيزياء الذي اكتشف تركيب الذرة قبل أربعين عاماً ، فهو مكب بأجهزته الدقيقة على خلايا الكائنات الحية للوقوف على دقائق تكوينها الداخلي وتركيبها الكيميائي . وبعد عناء طويل وجهد متصل خرج العلماء برأي حول التركيب الكيميائي لجزيئات الكائنات العضوية الحية يقول : ان الأساس لكل كائن عضوي حي — Living Organism هو مادة غريبة تدعى حامض الريبوز النووي — Ribose Nucleic Acid ويرمز اليها عـادة بالحروف "RNA" . والجزيء من هذه المادة يظهر على شكل لولبي مزدوج طويل للغاية ، كأنما هو سلّم يلتف حول ذاته ، سلم يؤلف بمختلف درجاته المتتابعة سجلاً وصفياً لخصائص الكائن الحي الذي انتزع منه هذا الجزيء . وهذه المادة رغم تركيبها الكيميائي المعقد لا تتألف إلاّ من خمسة عناصر هي الكربون ، والهيدروجين ، والنيتروجين ، والأوكسجين ، والفوسفور . ولم تقف معرفة العلماء عند ذلك الحد ، بل تجاوزتها إلى معرفة مختلف الترتيبات التي تبدو عليها هذه العناصر في فئات ثانوية . وقد أصبح من المؤكد لدى العلماء أن هذه العناصر كانت موفورة بغزارة في محيط الأرض وأجوائها قبل أن تنشأ فيها الحياة . وهذا لا يتنافى أصلاً مع الرأي القائل بأن كيمياء الأرض تختلف في بعض الوجوه عما كانت عليه حينما نشأت فيها الحياة ، اذ خضعت لتغيرات كبيرة . وتشير الدلائل الفلكية إلى حقيقة هامة مفادها أن نحو ٩٠ بالمئة من الذرات السابحة في الكون هي ذرات هيدروجين ، وهذه الحقيقة تحدو بنا إلى القول بأن أجواء

أن فريقاً آخر من العلماء ، مع تقديره الكبير للنتائج التي توصل اليها غيرهم ، يرون أن العالم الذي يقوم بمثل هذه التجارب انما يقوم بنفسه بتعيين نقطة الانطلاق في التجربة من حيث اختياره للعناصر التي يستخدمها وتحديده لمسار التجربة . ومن هنا يمكن التسليم أن مثل هذا العالم ، بتجربته هذه ، انما يقلد تكوين ما هو موجود فعلاً . وهو في قرارة نفسه يعلم مسبقاً بما ستؤول اليه تجربته ، لأنه يعرف الأساس الكيميائي للحياة على أرضنا كما هي عليه الآن . فهو ولا شك ، قد تأثر بتلك الحقائق العلمية دون قصد منه فوجه تجربته الوجهة التي أرادها ليحصل على الجواب الذي توقعه وهنا يقف العلماء في حالة جمود وهم يودون لو كان في مقدورهم اكتشاف ولو دليل واحد على منشأ الحياة في أجواء وأحوال « ارضنا البدائية—Primordial Earth » ، بعيداً عن التجارب التي يهيمن عليها الانسان ويحدد مسارها . وعليه فانهم يتطلعون إلى كواكب أخرى شبيهة في تركيبها الكيميائي بأرضنا ويغمرها الضياء من شمس كشمسنا لعلهم يجدون فيها ضالتهم . ويعتقد الكثيرون من علماء الفلك أن هناك ملايين من الكواكب الدائرة في رحاب الكون تحمل بعض أشكال الحياة في أطوارها الأولى . أما علماء الحياة ، فمع اعتقادهم بأن الحياة الموجودة على الأرض والمعتمدة على الكربون لا بد وأن يكون لها مثيل إلى حد بعيد في كثير من كواكب الكون ، فهم يرون أن اختلاف الشموس والأجواء ينشيء أنماطاً حياتية متنوعة في تلك الكواكب . فاحتمالات احتواء الكون على أشكال الحياة المعتمدة على الماء هي ، بلا شك ، أكثر من أن تحصى . ومع ذلك يحتمل أن تكون هناك فئات أخرى من الكائنات الحية يعتمد وجودها على عناصر أخرى مغايرة . ولقد أورد عالم الحياة الكيميائي المعروف الدكتور « اسحاق عظيموف — Isaac Asimov » عدداً من الافتراضات المحتملة على هذا الصعيد ، ومنها ، على سبيل المثال ، أن معالم الحياة المعتمدة على سيليكونات الفلور يمكن أن تظهر حيث تكون الحرارة من الارتفاع بحيث تكفي لصهر الحديد . أما البيئات التي تتراوح فيها الحرارة بين ١٥٠ و ٤٠٠ درجة مئوية مثلاً فقد تظهر فيها الحياة مستمدة وجودها من مركبات الفلور والكربون ومعتمدة على الكبريت السائل بدلاً من الماء . أما البيئات التي تنخفض فيها درجة الحرارة كثيراً عن درجة حرارة الأرض فهناك على الأقل ثلاثة احتمالات لتراكيب كيميائية يمكن أن تنشأ عنها الحياة . ففي أقرب هذه البيئات إلى الدفء ، والتي تبلغ حرارتها نحو ٥٠ درجة تحت الصفر ، يمكن أن يحل النشادر السائل محل الماء . فاذا هبط ميزان الحرارة إلى نحو ١٦٥ درجة مئوية تحت الصفر كان الميثان السائل هو البديل للماء . واذا ما انخفضت الحرارة إلى حوالي ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وهي درجة يصعب تصورها ، فعندها قد يقوم الهيدروجين السائل بدور المذيب الذي يحدث مختلف التفاعلات الكيميائية اللازمة للحياة .

وفي غمرة العمل الدائب والجهد المتواصل عبر التجارب العديدة الرامية إلى الوقوف على أصل الحياة البدائية على وجه الأرض منذ أن أخذت سمتها ، يتطلع العلماء إلى عوالم أخرى ، ضمن كواكب المجموعة الشمسية ، ذات تركيب كيميائي شبيه بالأرض ، وتتوفر فيها حرارة بالقدر الذي لا يجهض الحياة في مهدها . ان مثل هذه الكواكب قد تحتوي على بيئات أقرب إلى بيئة « الأرض البدائية » منها إلى بيئة الأرض في وضعها الحاضر ، وبذلك قد تمد العلماء بمعلومات قيمة عن التطور البيولوجي في مراحله المبكرة وحتى عن عمليات التطور الكيميائي التي سبقت نشوء الحياة على الأرض . ومن بين هذه الكواكب القريبة الشبه من الأرض في تكوينها الكيميائي ، على حد رأي بعض العلماء ، « الزهرة — Venus » والقمر ، و « المريخ — Mars » . أما كوكب الزهرة فقد ثبت للعلماء بما لا يقبل الشك أن سطحه ذو حرارة مرتفعة إلى حد لا يستطيع معه توفير الحياة . وقد دلت دراسات الفضاء عن طريق المركبة الفضائية « مارينر ٢ — Mariner II » على أن درجة حرارة سطح كوكب الزهرة أعلى من درجة غليان الماء ، اذ تحيط به سحب كثيفة لا تنقشع تعمل على احتباس حرارة الشمس . ولهذا فقد اسقطه العلماء عام ١٩٦٢ من الحساب ، كما أسقطوا من حسابهم القمر عام ١٩٦٩ بعد أن حطت المركبة الفضائية « ابوللو » على سطحه ، وعادت بعينات صخرية منه دلت على أنه يفتقر إلى العناصر الأساسية التي تقوم عليها الحياة وخاصة الماء ، ولذا يتعذر في تربته حدوث أي «انبعاث كيميائي-Chemical Evolution » وعليه فقد اتجهت أنظار العلماء إلى « المريخ » ، ذلك الكوكب الأحمر الذي حيّر العلماء ردحاً طويلاً من الزمن لاعتقادهم بوجود صور من الحياة عليه ، مرد ذلك إلى ما يشاهد من تغير في لون سطحه مع اختلاف فصوله ، ووجود « قلنسوة جليدية — Ice-Cap » على كل من قطبيه تنحسر في فصل الصيف ، فتظهر تحتها مساحات قاتمة اللون يرجح بعض العلماء أنها نباتات بسيطة تشبه الطحلب . والمعروف عن المريخ انه الكوكب السيار الوحيد الذي يمكن رؤية سطحه من الأرض بوضوح ومن ثم التعرف إلى كثير من معالمه ، لدرجة أن « جيوفاني شياباريللي » رأى على سطحه بعض القنوات ، حملت الكثيرين من أرباب الخيال على الاعتقاد بأن ذلك الكوكب مأهول بسكان على درجة كبيرة من الذكاء . ومن هنا كان الاهتمام كبيراً باستكشاف معالم هذا الكوكب . فكان السباق على أشده بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية ، حين أطلقت كل منهما سلسلة من المركبات الفضائية المزودة بآلات التصوير التلفازية ذات عدسات « بانورامية » متقدمة لالتقاط صور لسطح ذلك الكوكب وبثها إلى محطات المتابعة الأرضية ليقوم العلماء بتفسيرها . ومن هذه المركبات الفضائية « مارينر ٩ — Mariner IX » التي أطلقتها الولايات المتحدة في ٣٠ مايو ١٩٧١ ، وكللت رحلتها بالنجاح ، اذ كشفت الصور التي أرسلتها عن حقائق كثيرة غيرت من المفاهيم القديمة عن كوكب المريخ . فقد اتضح للعلماء أن الغلاف الجوي الرقيق للمريخ يحتوي على « مواد متطايرة — Volatile » تحتوي على ثاني أوكسيد الكربون وربما بعض النيتروجين ، كما ان قلنسوتيه الجليديتين تحتويان على الماء وغاز ثاني أوكسيد الكربون في حالة تجمد . أما درجة الحرارة على سطح المريخ فتتراوح بين ٣٠ درجة مئوية إلى ١٠٠ درجة مئوية تحت الصفر ، ولذا فان وجود بعض أشكال الحياة البدائية أمر يخامر عقول بعض العلماء ، أو ان هناك على الأقل مراحل متقدمة من الانبعاث الكيميائي السابق لنشوء الحياة البدائية . ومع ان ذلك هو مجرد احتمال ، إلا أن العلماء يعلقون آمالاً كبيرة على كوكب المريخ ويتطلعون إلى اليوم الذي تهبط فيه سفينة فضائية مأهولة على سطحه لتقطع الشك باليقين .



الكواكب الأخرى لا بد من أن تحتوي على الهيدروجين بالاضافة إلى ذرات من الهيدروجين متحدة مع ذرات عناصر أخرى . فجو الكوكب السيار « المشتري — Jupiter » ، على سبيل المثال يتكون بصورة رئيسية من جزيئات الهيدروجين « H_2 » يضاف اليها كميات ضئيلة من مركبات أخرى ، مثل الميثان « CH_4 » ، والأمونيا « NH_3 »، والماء « H_2O » الذي يؤكد وجوده في الطبقات السفلى من جو كوكب المشتري .

هذه الاكتشافات شدت انتباه الكثيرين من العلماء المتطلعين إلى دراسة التركيب الكيميائي لكواكب المجموعة الشمسية لاحتمال وجود نوع من أشكال الحياة فيها ، ومن بينهم العالم الكيميائي الأمريكي هارولد يورى — « Harold C. Urey » الذي عكف على دراسة هذه الظواهر بعد الحرب العالمية الثانية . وأشار في معرض دراساته إلى أن منشأ الحياة يجب اعتباره في حدود جو مماثل لجو كوكب المشتري . فلكي يصلح كوكب سيار ما للحياة عليه ، ينبغي أن يكون معتدل الحرارة ، مستقر المناخ استقراراً معقولاً مدى ملايين السنين ، وأن يكون ذا تركيب كيميائي ملائم يساعد على ازدهار الحياة فيه . ان المادة الحية تحتاج لكي تعيش ، إلى بيئة كبيئة الأرض . والكوكب الذي يحمل كائنات حية لا بد من أن تتراوح فيه درجة الحرارة بين الصفر ومائة درجة مئوية . وهو المدى الذي يمكن للماء فيه أن يوجد كسائل . أما في الأجواء التي تزيد درجة برودتها على ذلك فلا تتم التفاعلات الكيميائية الا ببطء بالغ . وفي الأجواء التي تزيد درجة حرارتها على ذلك ، تعمل الحرارة على تحطيم الروابط القائمة بين ذرات الهيدروجين والكربون ، التي هي المقومات الأساسية للمادة الحية .

هذا ولا بد للكوكب من جو مناسب تستطيع فيه الكائنات الحية أن تتنفس ، فاذا كان الكوكب صغير الحجم فان تأثير جاذبيته سيكون من الضعف بحيث لا يستطيع أن يمنع الغازات الموجودة في جوه من التبدد في الفضاء الواسع . كما أن الشمس التي يدور حولها الكوكب يجب أن تكون ذات حجم مناسب ، فاذا كانت صغيرة جداً فان الحرارة التي تولدها لا تكفي لاحداث التفاعلات الكيميائية اللازمة لنشوء الحياة ، ومن ناحية أخرى اذا كانت الشمس كبيرة جداً فانها عندئذ ستتمدد كعملاق جبار أحمر يلف كواكبه السيارة بشواظ من نار يطفيء جذوة الحياة في مهدها قبل أن تتهيأ لها مقومات التطور والنمو . ورغم هذه الظروف ، فان العلماء يقدرون ان هناك في مجرتنا وحدها ملايين النجوم التي قد تكون لها كواكب سيارة يمكن العيش فيها .

ثم جاء بعد ذلك الدكتور « ستانلي ميللر — Stanley L. Miller » ، تلميذ العالم الكيميائي « هارولد يورى » فأجرى عام ١٩٥٢ تجربة رائدة تعتبر فتحاً جديداً في مضمار الكشف عن نشأة الحياة في الأرض . فقام بتحضير مزيج معقم ، يتألف من الماء والأمونيا والميثان والهيدروجين ، وأعد المزيج على نحو يشبه ما كان عليه جو الأرض البدائي . وبدلاً من أن يستخدم الشمس كمصدر للطاقة اللازمة للتفاعل الكيميائي عرّض المزيج لتفريغ كهربائي قوي « Electric Discharge » مدة أسبوع كامل . ولم ينقض الأسبوع حتى استحال المزيج العديم اللون إلى مزيج وردي استهلك فيه نحو سدس الميثان المستعمل في التجربة . وبعد الكشف عن محتويات هذا المزيج تبين أنه خليط من جزيئات معقدة من بينها جزيئات «الغليسين—Glycine» و«الالانين—Alanine» ، وهما قوام «الأحماض الأمينية—Amino Acids» التي تعتبر بمثابة الوحدات الأساسية التي تتكون منها البروتينات . والبروتينات بدورها تمثل احدى الطائفتين من المركبات التي تحتفظ بخواص النسيج الحي . وهكذا أثبتت التجربة امكان تكوين هذه المركبات المعقدة تلقائياً بمنأى عن الكائنات العضوية الحية .

وكرّر علماء آخرون التجربة باستخدام عناصر أخرى وتعريضها « للأشعة فوق البنفسجية — Ultraviolet Rays » ، وفي كل مرة كان يتم الحصول على جزيئات معقدة شبيهة بجزيئات الأنسجة الحية . . لقد جرى كل ذلك في المختبرات في فترات قصيرة جداً . فكيف لو ترك هذا المزيج للطبيعة تعمل فيه ملايين السنين ؟ وعليه فليس بعيداً ، في رأي بعض العلماء ، أن يكون « التصادم العفوي — Chance Collision » للجزيئات السابحة في الفضاء وامتصاصها للطاقة قد أحدث كل تلك التغيرات الضرورية في اتجاه أدى إلى نشوء الحياة في أدنى صورها وأبسط أشكالها . بيد



رسم توضيحي لخلية حيوانية مكبرة حوالي ٨٠٠٠ مرة .

ليست تلك الكواكب التي سبق ذكرها خاتمة المطاف في سلسلة الأبحاث التي يجريها العلماء في سبيل استكناه الحياة في العوالم الأخرى ، بل هم يواصلون دراساتهم وتجاربهم في كل ميدان يرون فيه بصيصاً من نور . ولعل أقرب ما تقع عليه عيون الناس هي تلك الأجسام المتوهجة الغريبة التي تهوى إلى الأرض من السماء والمعروفة بـ « النيازك — Meteorites » . فهذه الأجسام هي في واقع الأمر بقايا أجرام سماوية انفجرت في الفضاء أو أجسام انسلخت عن بعض الكواكب البعيدة ثم تهاوى بعض شظاياها حتى وصل إلى الأرض . وهناك نوعان معروفان من النيازك بالنسبة للتركيب الكيميائي هما : النيازك الحديدية ، وتتألف من الحديد والنيكل ، والنيازك الحجرية . وقد عكف العلماء على دراسة خواصهما إلاّ أنه لم تتوفر لديهم أية معلومات شافية . بيد أن نوعاً ثالثاً من هذه النيازك أثار اهتمام العلماء ، وقد عثر عليه على مقربة من مدينة « اليس — Alais » في فرنسا كان قد سقط في عام ١٨٠٦ ، وهو نوع نادر ذو لون أسود ، ويتألف من مادة هشة يشوب سطحه حبيبات صخرية ، ولهذا أطلق عليه اسم « النيزك الحبيبي — Chondrite » . ولما كان هذا النوع من النيازك يتألف من مركبات تحتوي على الكربون ، لذا عرف بـ « النيزك الحبيبي الكربوني — Carbonaceous chondrite » . وقد قام العالم الكيميائي السويدي « جون برزيليوس — Jons J. Berzelius » عام ١٨٣٤ بتفحص ذلك النيزك وتساءل فيما اذا كان أصل المادة الكربونية فيه جزءاً من كائنات عضوية حيّة . وفي أوائل الستينات من هذا القرن . أشار بعض التقارير إلى وجود « أجسام مجهرية — Microscopic Objects » في نيزك حبيبي كربوني سقط في منطقة « ارجويل — Orgeuil » في فرنسا عام ١٨٦٤م . بيد أن الخبراء لم يعلقوا على هذه التقارير أهمية كبيرة بدعوى ان هذا النيزك لا بد وأن يكون قد تلوث بغبار الأرض خلال المائة عام التي بقيها ملقى على الأرض . ولذا فقد وجهوا أنظارهم إلى النيازك الحديثة العهد بسقوطها على الأرض من هذا النوع . ولم يطل انتظارهم . فقد هوى أحد هذه النيازك الحبيبية الكربونية عام ١٩٥٠ على مقربة من مدينة « موراي — Murray » في

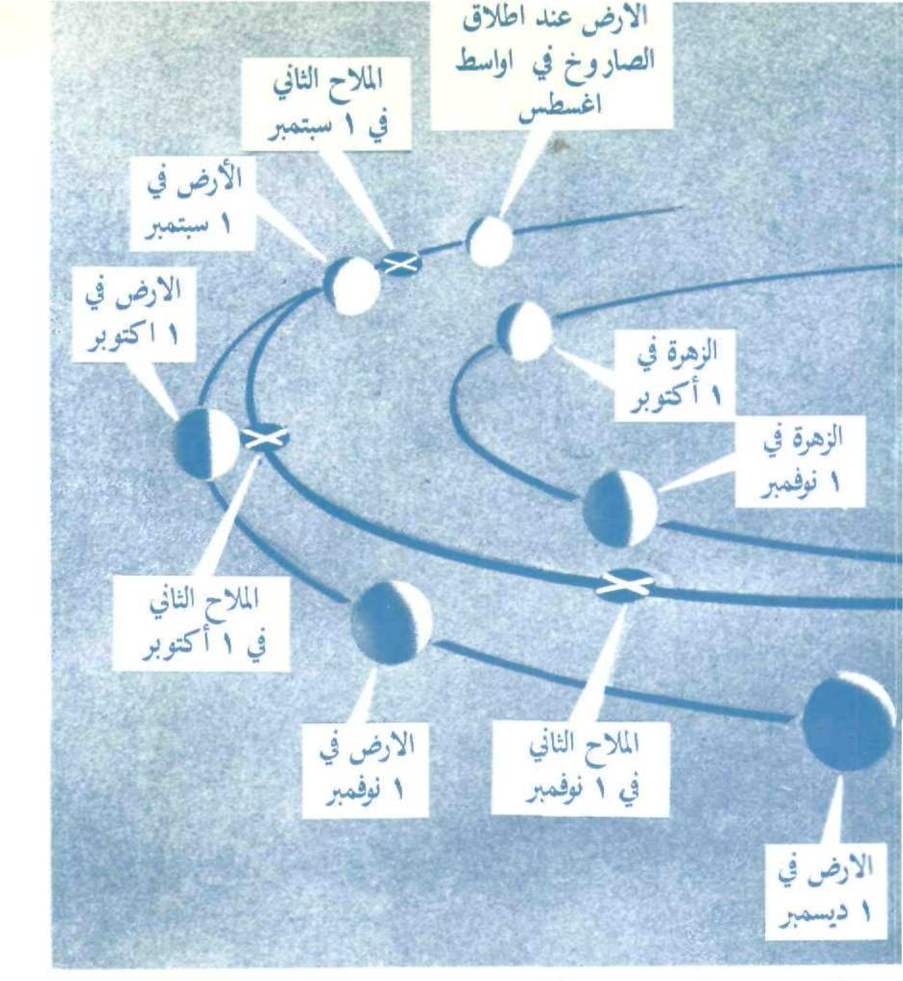
رسم يمثل رحلة الملاح الثاني « مارينر — ٢ » إلى كوكب الزهرة في

ولاية « كنتكي — Kentucky » الأمريكية ، وهوى آخر فوق مدينة « ميرتشيسون — Murchison » في أستراليا عام ١٩٦٩ . وقام علماء « الادارة الوطنية للملاحة الجوية وأبحاث الفضاء — NASA » بدراسة هذين النيزكين باستخدام وسائل علمية حديثة متقدمة كتحليل الغازات بالامتزاز وهو ما يعرف علمياً بـ « التحليل الكروماتوغرافي — Gas Chromatography » و « التحليل الطيفي للكتل — Mass Spectroscopy » وذلك لفصل مكونات المادة الكربونية في هذين النيزكين والتعرف اليها للاستدلال على طبيعة الغازات الموجودة فيها . وكانت النتائج التي توصل اليها العلماء مدهشة ، فقد كشفت عن تشابه كبير في التركيب الكيميائي للنيزكين رغم بعد الشقة بينهما في المسافة وزمن السقوط اذ اتضح أن معظم مكونات النيزكين التي جرى فصلها هي أحماض امينية عرف منها ١٨ نوعاً ، ستة أنواع منها تنشأ عنها البروتينات المعروفة وهي « الفالين — Valine » و « الالنانين — Alanine » و « الغلايسين — Glycine » ، و « البرولين — Proline » ، و « الحامض الاسبرتي — Aspartic Acid » و « الحامض الجلوتامي — Glutamic Acid » . أما أنواع الأحماض الباقية فهي ، فضلاً عن كونها متقاربة في نوعها ، موجودة بنسب ضئيلة في الأنسجة الحية للكائنات في الأرض . وفي أواخر عام ١٩٧٣ تم الاستدلال على ١٧ « حامضاً دهنياً — Fatty Acids » في نيزك ميرتشيسون ، وهي الأحماض التي تتألف منها الدهنيات في الأنسجة الحية . وتتميز الأحماض الدهنية عن الأحماض الامينية بسلاسل طويلة من ذرات الكربون والهيدروجين وتنعدم فيها ذرات النيتروجين .

هذه الاكتشافات جرت فريقاً من علماء الفضاء إلى القول بأن الجزئيات العضوية المعقدة الموجودة في النيزك يرجح أن يكون لها مثيل في الكوكب الذي انسلخ عنه هذا النيزك . بيد أن الكيميائيين يردون على ذلك بقولهم إن الأحماض الامينية في حد ذاتها لا تنهض كدليل كاف على وجود شكل من أشكال الحياة على كوكب ما ، فهناك طرق كيميائية عديدة للتأكد فيما اذا كانت هذه المركبات المكتشفة في النيازك الحبيبية الكربونية قد نشأت أصلاً من كائنات حية . فالاحماض الأمينية ، فيما عدا « الغلايسين » وهو أبسطها ، تنتظم في مجموعتين كل منهما صورة مطابقة للأخرى ، وتشبهها في خصائصها الكيميائية ، ويجري تصنيفهما عادة بالحرفين (L) و (D) .

ومن الجدير بالذكر أن التفاعلات الكيميائية في الأنسجة الحية لجميع الكائنات العضوية على الأرض تكوّن أحماضاً أمينية من نوع (L) اذا حدثت بفعل « انزيمات (خمائر كيميائية) — Enzymes » من نوع (L) ، بينما وجد العلماء عند تحضير الأحماض الامينية في المختبر دون الاعتماد على الأنسجة الحية انهم يحصلون على كميات متساوية من النوعين (L) و (D) . وبما أن النيازك الكربونية الآنفة الذكر تحتوي على النوعين (L) و (D) بكميات متساوية فهذا يعني أن الأحماض الأمينية في النيازك قد نشأت بمنأى عن الانزيمات ، ولذا فان النيازك الكربونية الحبيبية لا تنطوي على أي من مظاهر الحياة كما نعرفها . وبالمثل فان الأحماض الدهنية في نيزك « ميرتشيسون » توجد في مجموعتين بكميات متساوية ، أحداهما تشتمل على « أحماض دهنية ذات ذرات زوجية من الكربون — Even-Number Fatty Acids » والأخرى تشتمل على « أحماض دهنية ذات ذرات فردية من الكربون — Odd-Number Fatty Acids والمعروف أن الأحماض الدهنية التي تتكون في الأنسجة الحية هي نتاج اضافة مركبات متنوعة بعضها إلى بعض ، يحتوي كل منها على « ذرتين من الكربون - Two-Carbon-Atom Compounds » . وعليه فان جميع الأحماض الدهنية في النسيج الحي هي من المركبات ذات الذرات الزوجية من الكربون . أما الأحماض الدهنية التي تتميز بذرات الكربون الفردية فلا توجد في الكائنات الحية التي نعرفها ، مع انه يمكن انتاجها كغيرها عبر تفاعلات كيميائية لا صلة لها بالأنسجة الحية .

وجملة القول ان الدراسات النيزكية التي تمت حتى الآن مكنت العلماء من الوقوف على حقائق علمية باهرة ، مهدت السبيل إلى الاستدلال على التركيب الكيميائي البيولوجي لبعض الأجرام السماوية . فالمركبات في النيازك الكربونية تتكون بطريقة مشابهة لتكون المركبات في الأنسجة الحية على الأرض وإن كانت تختلف عنها في بعض الوجوه السالفة الذكر . ومن ناحية أخرى ، فانها تدعم التجارب المختبرية التي قام بها نفر من العلماء بحيث



١٩٠ للكشف عن احتمال وجود دلائل كيميائية للحياة في الفضاء الخارجي .

يبدو أن الحياة ظاهرة طبيعية بل حتمية في ظل الظروف الملائمة والبيئة المناسبة . وعلى ما يبدو فان الذرات هي أميل إلى الاتحاد وتكوين المركبات منها إلى الإنفصال ، وهي بهذا تساعد على نشوء الحياة اذا ما تهيأت لها الظروف وواتتها الفرصة . ولنا أن نتساءل بعد ذلك إلى أي حد يمكن الإعتماد على النيازك الحبيبية الكربونية ؟ إنها أجسام نادرة لا نعرف الكثير عن تاريخها ، ليس ذلك فحسب ، بل قد تكون تعرضت لأحوال بيئية فريدة ، تجعل من الصعب الاعتماد عليها في دعم ما نحن بصدده .

ورغبة من العلماء في سبر رحاب الفضاء الواسعة سعياً وراء معرفة التركيب الكيميائي للكواكب البعيدة خارج المجموعة الشمسية ، فقد وجهوا دراساتهم إلى النجوم . ولما كانت هذه على درجة عالية من الحرارة لا تسمح بانبعاث كيميائي عليها فقد تركزت البحوث على غيوم الغاز والغبار الكائنة في الفضاء النجمي – Interstellar Medium » بالاستعانة بالمراقب الفلكية الراديوية والتحليل الطيفي للعناصر الكيميائية فيها . اذ دلت عينات التحليل الطيفي على أن الفضاء النجمي يتألف بصورة رئيسية من ذرات الهيدروجين ممزوجة مع كميات ضئيلة من ذرات اخرى كالهيليوم والكربون والنيتروجين والاوكسجين . ومن المحتمل جداً أن توجد في الفضاء النجمي أشكال الذرات جميعها ، إلا أن الهيدروجين هو العنصر الغالب فيها . ولكي تتحد ذرتان لتكونا جزيئاً يجب أن يحدث بينهما تصادم ، وأن الحركات العشوائية لهذه الذرات المختلفة المتباعدة كفيلة باحداث ذلك التصادم ، ولكن ذلك يحتاج إلى وقت طويل. وهذا يعني أن المركبات المؤلفة من ذرتين يمكن أن توجد هناك في تجمعات بالغة الصغر لدرجة يتعذر معها الكشف عنها أو استبانتها . كما يوجد في الفضاء الخارجي دقائق الغبار التي تحجب ضوء النجوم كما هي الحال في مجرة « طريق التبانة – Milky Way » فالذرات الفردية تمتص قليلاً من الضوء بينما دقائق الغبار تمتص كثيراً منه ، ولذا كانت الغيوم القاتمة تحتوي على مقدار كبير من الغبار . أما الخصائص الكيميائية لهذا الغبار وطريقة تكونه فهي مسألة لا تزال مثار جدل علمي . وبالرغم من العوائق الكثيرة التي تحول دون رؤية الجزيئات في الفضاء النجمي ، فقد تمكن العلماء عام ١٩٣٧ من الكشف لأول مرة عن مركب من الكربون والهيدروجين (CH) ومركب من الكربون والنيتروجين (CN). ومع تطور علم « الفلك الراديوي – Radio Astronomy » عقب الحرب العالمية الثانية ، أصبح من الميسور مسح المجرات البعيدة والفضاء النجمي باستخدام أجهزة لاسلكية شديدة الحساسية . فقد اكتشف العلماء أن الذرات السابحة في الفضاء النجمي ترسل أو تمتص موجات راديوية مميزة ، طاقتها أقل بكثير من الطاقة الضرورية لامتصاص أو إرسال الموجات الضوئية المرئية . وبذلك غدا من السهل التعرف إلى الجزيئات التي يحتويها الفضاء النجمي . ففي عام ١٩٥١ تم بطريقة مباشرة اكتشاف ذرات الهيدروجين التي ترسل موجات راديوية مميزة ، وهو هيدروجين عادي أو ما يطلق عليه « هيدروجين – ١ » الذي تتألف نواته من بروتون واحد . وفي عام ١٩٦٦ اكتشف « الهيدروجين – ٢ » أو ما يسمى بـ « الديوتريوم – Deuterium » أي الهيدروجين الثقيل وتتكون نواته من بروتون ونيوترون . ولم يلبث العلماء بعد ذلك أن اكتشفوا مركباً ثالثاً من الأوكسجين والهيدروجين (OH) أو ما يسمى بـ« الهيدروكسيل الأحادي الذرية – Hydroxyl Radical » . أما الاكتشاف الذي أثار دهشة كبيرة في الأوساط العلمية فهو اكتشاف الماء اثر اشعاعات راديوية من الفضاء النجمي قامت جامعة كاليفورنيا بتسجيلها . ويتألف جزيء الماء كما هو معروف ، من ثلاث ذرات (H_2O) . وقد شهد عام ١٩٦٨ بهذه الاكتشافات الرائعة مولد « علم الكيمياء الفلكية – Astrochemistry » ، ثم توالت اكتشافات مركبات من أربع ذرات كالامونيا (NH_3) و «الفورمالديهايد – Formaldehyde » (H_2CO) ، ومركبات أخرى تتألف من ذرات أكثر ، مما عزز رأي العلماء القائل بأن هذه الجزيئات هي في طريقها لتكوين الأحماض الأمينية والأحماض الدهنية و « البيورينات – Purines » و « البيريميدانات – Pyramidines » اللازمة لبناء الأنسجة الحية .

وهكذا تتضافر جهود العلماء باختصاصاتهم المتنوعة تساندهم الأجهزة العلمية المتقدمة والآلات الحاسبة الالكترونية لإماطة اللثام عن أسرار هذا الكون الفسيح الذي أبدعه الخالق سبحانه وتعالى وأحكم صنعه وقدره تقديراً ●

بتصرف : عن مجلة سيانس دايجست

الاعجاز القرآني في فكر المعاصرين

بقلم : الأستاذ محمّد احمد العزب

المدخل الطبيعي للحديث عن قضية من القضايا هو استقراء تاريخ هذه القضية ، خاصة اذا كان لهذا التاريخ من الامتداد الزمني ما يتيح للباحث أن يتجوّل في ابهائه ، وأن يرجع في نهاية الرحلة بحصاد هائل العطاء ! !

والاعجاز القرآني قضية كان لها في فكرنا التراثي دوائر تتراحب بتراحب المدّ الثقافي ، وكانت تستقطب من جهود عمالقة المفكرين مساحة تعكس ضخامة الاحساس بصميميّة هذه القضية ، وجلال ما تنحني عليه من معطيات عقائدية وفكرية وفلسفية وبلاغية بلا حدود ! !

إن تاريخ هذة القضية — ككل التواريخ — لم يبدأ منظماً ولا جارياً على منهج أكاديمي — إذا جاز أن نستعمل هذا المصطلح في هذا المجال — وإنما بدأ منثوراً في أقوال العرب وآرائهم واستدلالاتهم بشكل يوحي بأن مخاضاً من لون ما كان يتخالج الفكر الابداعي في هذه المراحل ، وأن تاريخ الفكر كان يتهيأ لاستقبال وافد جديد لم يلبث أن تخلق وتكامل وأعطى كنوزه ، واستحال في حركة الخلق الابداعي إلى تيار زاخر باضافاته الفكرية والفنية والعقائدية والمنهجية ! !

ثم بدأت الظاهرة تأخذ شكلها الأكاديمي ، على تجوّز في التعبير هنا — على الأقل في مطالع الحركة ، فقد كتب أبو عبيدة كتابه « المجاز » باحثاً في أسلوب القرآن بعرضه على أساليب العرب . . ثم كتب الجاحظ المتوفي سنة ٢٢٥ كتابه « نظم القرآن » جاهداً في الاحتجاج للقرآن والرد على كل طعان كما يقول . . ثم كتب أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة ٣٠٦ كتابه « اعجاز القرآن » وقد شرحه عبد القادر الجرجاني شرحاً كبيراً سمّاه المعتضد ، وشرحاً أصغر منه ، يقول الرافعي : « ولا تظن الواسطي بنى إلاّ على ما ابتدأه الجاحظ ، كما بنى عبد القادر في « دلائل الاعجاز » على الواسطي » (١) . . ثم وضع أبو عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٢ كتابه في الاعجاز ، مركزاً على أن القرآن معجز ببلاغته . . ثم وضع الخطابي المتوفى سنة ٣٨٥ كتابه « اعجاز القرآن » مبيناً أن وجه الاعجاز هنا هو استقطاب القرآن للحدود الثلاثة : اللفظ ، والمعنى ، والنظم ، ثم ما للقرآن من أثر نفسي لا تملك معه القلوب الا وجيب الإذعان والانبهار . . ثم كتب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ كتابه « اعجاز القرآن » موضحاً تفرد الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب الشعرية والنثرية والسجعية . . ثم كتب ابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦ كتابه « سر الفصاحة » وتعرض فيه للاعجاز من وجهين : خرق القرآن للعادة بفصاحته ، وصرف العرب عن معارضته ، ثم كتب عبد القادر الجرجاني كتابه « دلائل الاعجاز » وقد عالج فيه موضوع الاعجاز نظماً وتأليفاً كجزء من ظاهرة أشمل هي طريقة نظم البيان عامة . . ثم تتابعت التفاسير وكلها يقف من الاعجاز موقف الدارس المستنبط وإن اختلفت مناحي النظر وتعددت زوايا الرؤية من واحد لآخر لهذه التفاسير .

هذا تخطيط عريض للمسار التاريخي القديم لحركة الابداع الفكري في موضوع « الاعجاز القرآني » قد ينقصها الشمول ولكنها دالة على نحو من الأنحاء ، وقد يعوزها الاستبطان ولكنها موحية بشكل أو بآخر ، فماذا عن المسار التاريخي لنفس هذه الحركة من الوجهة المعاصرة ، وهو الموضوع الأساسي الذي تتحرك في اتجاهه هذه السطور ؟

ربما كانت صيحة جمال الدين الأفغاني في أواخر القرن التاسع عشر بداية المعاصرة ، في الحديث عن قضية الاعجاز ، ولقد تلقف الراية من بعده الشيخ محمد عبده فأعطى عطاء ثاقباً من خلال دروسه التي سجلها الشيخ محمد رشيد رضا وجمعها وزاد عليها في : « تفسير المنار » . ثم تتابعت الجهود وتدفق تيار الحركة الابداعية مما يصعب معه استقصاء هذا الكم الهائل من الاسماء والأعمال ، ولكن هذه الصعوبة في الاستقصاء لا يمكن ان تصرف الباحث في هذا الصدد عن محاولة استقصاء الملامح العامة التي تتسم بها محاولات هؤلاء ، أو قل عن محاولة استقصاء أبرز القضايا التي طرحها الفكر المعاصر في حواره الجاد حول قضية الاعجاز .

وعلى نحو مقارب نستطيع أن نقول إن جهود الفكر المعاصر في حواره حول قضية الاعجاز القرآني قد أبرزت عديداً من القضايا الأساسية التي يرونها محوراً لهذا الاعجاز هي على وجه التقريب :

- توثيق التواريخ الغابرة ، وابراز الحكم والمواعظ والآداب ، واحتياز قمة البلاغة ، والاخبار بالغيب — « محمد عبده » .
- غلبة الروحانية القرآنية التي لا تقاوم — « فريد وجدي » .
- البيان والاجمال ، واقناع العقل ، وامتاع العاطفة ، وخطاب العامة والخاصة ، والقصد في اللفظ مع الوفاء بحق المعنى ، والتآلف الصوتي — « محمد عبدالله دراز » .
- الافاضة التاريخية فيما يجهل العرب من أنباء ، ومراعاة الاسلوب العلمي والمنطقي والنفسي — « عبدالله عفيفي » .

(١) اعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٣

• اعجاز الاسلوب والمعاني والتشريع والمعارف — « محمود شلتوت » .

• الاعجاز التاريخي والانساني والحقائقي للقرآن من حيث هو كلام عربي هزم التحدي والمعارضة ، وكان بنظمه — حروفاً وكلمات وجملاً وأصواتاً وتراكيب وبلاغة قولية ونفسية وأحكاماً للسياسات المنطقية — أروع نمط معجز يتأبى على كل محاولات المماثلة أو المقاربة — « مصطفى صادق الرافعي » .

• الأسلوب البياني من حيث هو طراز فريد في أدائه وصوابيّته وطرائق امتلاكه الفذ لعناصر الغلبة الابداعية على كل المستويات — « سيد قطب وأمين الخولي وبنت الشاطيء » .

هذه — على نحو مقارب كما أسلفنا — هي أبرز القضايا الصميمية التي دار حولها حوار الفكر المعاصر في قضية الاعجاز ، وربما تكون هناك أو على وجه التأكيد لا بد أن تكون هناك قضايا صميمية أخرى قد استقطبها حوار هذا الفكر المعاصر في هذا المجال ، والاستقصاء بالضرورة أهدى من الانتقاء ، ولكنه — أعني الاستقصاء — ليس هدف هذه الكلمات الواثبة ، بقدر ما تبرز عملية التركيز على أهم القضايا المثارة بالفعل هدفاً صميمياً لهذه الكلمات في هذه السطور ! !

إننا إذ ننتهي إلى قناعة أن هذه القضايا المثارة هي بالفعل أهم ما يشغل الفكر المعاصر في بحثه الكادح حول قضية الإعجاز ، نجد انه من غير الصواب أن نمر عليها هكذا مروراً عابراً غير متأمل ولا دارس ، ولكننا كذلك نزعم انه ليس في طوق مثل هذه السطور الواثبة أن تتأمل بالدرس كل جوانب الموضوع ، ولا أن تلم الماماً شاملاً بكل عناصره ومفرداته . . يبقى إذن أن نختار فكراً معاصراً أبدع في هذا الصدد على مستوى شمولي يجمع بين الاكباب على مفردات النظر الموضوعي من جهة ، والاكباب على مفردات النظر التأثري من جهة أخرى ، فربما كان في ذلك وحده ما يمكن أن يضيء كل جوانب الموضوع إضاءة أعرف أنها ستكون هامشية ، ولكني أعرف كذلك أنها ستكون إلى مدى ما اضاءة كلية على نحو من الانحاء ، ان الاختيار هنا صعب بلا حدود ، ولكننا محكومون بضرورته ، وحين نختار رجلاً كالدكتور طه حسين ليمثل الفكر المعاصر الذي أبدع في هذا المجال من هذا المنظور الاقتراني ، فاننا نختاره على ضوء من قناعاتنا بأن ما كتبه في الجزء الذي خصصه لقضية الاعجاز من كتابه « مرآة الاسلام » يثير من القضايا التنظيرية والتطبيقية ما يصلح أن يكون أساساً لحوار فكري معاصر يضع القضية كلها على مستوى الجدل الفاعل بدلاً من تأمل وجهها السكوني في تراث الغابرين . . وإنّا لنرجو ان نوفق في النهاية إلى تبرير هذه القناعات ! !

في محاولة العرض والتحليل التي ينهض بها الباحث لاستبطان آراء طه حسين في قضية « الاعجاز القراني » ينبغي أن يتسلح الباحث بيقظة عارمة فيفرق بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي ، لأن طه حسين يقف من القضية موقفاً عقلانياً وموقفاً فنياً معاً ، ولسنا بالطبع نقصدُ من هذا التقسيم البدئي إلى لون من ألوان التفريق الحاسم بين ما هو عقلاني وما هو فني ، فان كل أشكال التعبير تفضي في النهاية إلى نوع من التقارض أو المعاطاة ، ان فكرة الحائط العازل ليست في فكر هذه الدراسة ، وانما هو لون من التحديد المساعد على تأمل طبائع الأنواع ! !

يذهب طه حسين إلى أن القرآن ليس من الوجهة الشكلية شعراً كهذا الشعر الذي يضطرب في أغلال باهظة من أوزانه وقوافيه وأعاريضه . . وهو من الوجهة الموضوعية ليس شعراً كذلك ، يوغل في فدافد الخيال وينحني على موضوعات تهرأت كالمدح والفخر والغزل والرثاء والهجاء والبكاء على الاطلال والحنين إلى الأحبة ووصف الصحراء والإبل والحيوان وهذه الأشياء التي يغص بها ديوان الشعر العربي .

ويرى طه حسين أن هذه الجمالية الشعرية الفارغة من الوجهتين : الشكلية والموضوعية لم تكن لتكون أسلوب القرآن في ظاهر أو باطن ، لأن القرآن ليس تلهية ساذجة يتقاذفها أغرار يولعون بالشعر ، وانما هو ثورة انقلابية كاملة في المفاهيم والأنماط ، فحديثه عن التوحيد والشرك ، عن الله والانسان ، عن السماء والأرض ، عن الدنيا والآخرة ، عن الرغب والرهب ، عن الرحمة والعذاب ، عن الغيب والشهادة . . كان بمثابة تفجير هائل الدوي في عالم تحكمه لزوجة منحدرة ، تبدأ من عناق الشعر وتنتهي إلى عناق الحجر ربّاً وديّاناً ! !

ويتساءل طه حسين نوعية العلاقة بين النبي العظيم الذي حمل هذا القرآن للناس وبين مناوئي الحركة الاسلامية من اليهود والنصارى ، فمحمد رجل من قريش لم يجلس إلى معلم ، ولم يقرأ الهجاء أو يكتبه ، ومع ذلك فقد كان يجادل اليهود في التوراة ، والنصارى في الانجيل ، وكان يعري مواقف الزيف في تحريف الكلم عن مواضعه ، والكتب عن غاياتها ونواميسها الالهية المرادة ، وكان يتصدى لمشركي قريش محقراً لوضعية انحنائهم الذاهل تحت أقدام ارتفاعات حجرية صماء يسمونها آلهة ! ! فأين كان محمد من كل هذا الفعل البطولي الخارق لو لم يكن حاملاً في أعماقه وتحت أهدابه كلمات الوحي التي تكاملت قرآناً لم يجيء هادماً لناموس سابق عليه ، وإنما جاء مصدقاً لما بين يديه ومضيفاً إليه ! ! ؟

ولأن القرآن جاء متمماً ومصححاً فان طه حسين يستشف من خلال هذه الوضعية ان هذه الصلة العضوية بالواقع الحيوي حددت نوعية هذا البيان الالهي ، فهو لم يجيء بشريعة شلاء تضرب في فراغات الخيال ، وإنما جاء بشريعة حميمة تضرب في أحشاء الواقع البشري والكوني بما تنظمه من عبادات ومعاملات على المستويين : الفردي والجمعي ، الجنسي والأممي . . ومع كل هذا التشابك الحميم بالواقع الحيوي فقد كان القرآن قادراً باستمرار على ربط كل هذه التشريعات بيقظة الحس البشري الرباني ، بمعنى انه خلق المعادلة الصوابية بتحضير الله رقابة دائمة لا تنفك في ضمائر ووجدانات البشر . . وهكذا يتعالى الأرضيُ حتى يسامت السماء بقانون الاعجاز الكامن في حركة الجدل بين ما هو من هنا وما هو من هناك ! !

ويدين طه حسين كل ردود الفعل القاصرة أمام هذا الإعجاز الكاسح المقتدر ، لقد اتهمت قريش محمداً وقرآنه بالشعر والسحر

والكهانة والجنون ، ولكن محمداً وقرآنه كانا أقوى ، فلما لم تفلح هذه الردود القاصرة لجئوا مرة أخرى إلى الحوار بالصراع العضلي تدليلاً بواقع مادي على إفلاس ملكاتهم الإبداعية وقوانينهم الاقناعية ، وهذه هي قمة الإحباط ! !

وبذكاء ناقد يرى طه حسين أن لوناً من الإعجاز القرآني يكمن في قضية أن محمداً يشد هكذا إلى ضرورة التبليغ وسط هذا الخضم المائج من العداوة المناوئة ، والضراوة الظامئة . ان إلهية القرآن تنطق هنا بلسان هذا الواقع المأساوي الذي يمثله نبي هذا القرآن على مستوى من الفذاذة المعجزة . وأيضاً فإن محمداً كان يجابه نداءات أضرى وأعتى ، فلقد طولب غير مرة بأن ينشيء لنفسه جنة من نخيل وعنب ويفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، وأن يأتيهم بالله والملائكة قبيلا ، وأن يسقط السماء عليهم كسفا ، وأن يرقى في السماء ويأتيهم بكتاب يقرؤونه ، وأن يجعل لنفسه بيتاً من زخرف ، وأن ينزل عليهم من السماء كنوزاً . . ولكن محمداً كان في مواجهة هذه النداءات الفاجعة لا يملك إلاّ أن يجهش بكلماته الوامضة المضيئة : « قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولا » ! !

وينتقل طه حسين إلى الأسلوب الأدائي للقرآن فيتبين فيه أن هذا الأسلوب كان وجهاً فذاً من وجوه اعجازه الخالد ، فهو ليس شعراً مكبلاً بأوزان الشعر وقوافيه وأعاريضه ، وهو ليس نثراً كذلك يجري على قوانين هذا النثر البشري سائباً هكذا بلا ضابط إيقاعي يحكم وقفاته أو اندفاعاته — وإنما هو : « آيات مفصلة لها مزاجها الخاص في الاتصال والانفصال ، وفي الطول والقصر . وفيما يظهر من الائتلاف والاختلاف ، تتلو بعض سوره فاذا أنت مضطراً في تلاوتها إلى الأناة والتمهل لأنها فصلت في ريث ومهل لاداء معان تحتاج إلى البسط والريث ، كالتشريع مثلاً ، ووصف ما كان يثار بين المسلمين والمشركين من الحروب والمواقع ، وتتلو بعض سوره الأخرى فاذا أنت مضطراً إلى شيء من السرع لأنها تؤدي معاني يحتاج أداؤها إلى القوة والعنف ، قد فصلت آياتها قصاراً ملتئمة الفواصل ، تقرؤها فكأنك تنحدر من عل ، وذلك حين يخوف الله عباده ويشتد في تخويفهم فيأخذهم من جميع أقطارهم ويقطع عليهم طريق الجدال والحجاج » (٢) ويحيل طه حسين على سورتي « الشعراء والقصص » لندرك أن السياق في الثانية يميل إلى كثير من الريث والهدوء والمهل ، وأن السياق في الأولى يميل إلى كثير من السرع والقوة والقصر لأنك في القص محتاج إلى تأمل هادىء لمفردات الواقع القصصي ، ولأنك في مجال التنظير غير محتاج إلاّ إلى إيقاعات خاطفة تعطي إيحاءها .

ويحدق طه حسين في طبيعة العناصر المكونة للأسلوب الأدائي للقرآن ، ويرى أن إعجاز هذا الأسلوب الأدائي متمثل في جمال اللفظ ، ورصانة السياق ، وإحكام النظام ، وروعة الصيرورة من معنى إلى معنى ومن موطن إلى موطن بحيث لا يملك حتى المعاند العقلي إلاّ أن يتطامن شعورياً أمام هذا الإعجاز فيؤمن قلبه حتى وهو كافر بلسانه . . إن هذا الإعجاز يمتد ليشمل المعرقين في العربية والشادين بالعربية والمنبتين عن العربية . . إن أعرق الأجيال في فهم العربية لم تملك إلاّ الإنحناء أمام روعة الاداء الأسلوبي في القرآن ، وان أجيالاً أخرى ليست على هذا المستوى المعرق في فهم العربية لم تملك هي الأخرى غير اليقين الجازم بأن هذا الكلام ليس ككل كلام تسمعه أو تقرؤه ، إنه يستقر في أخلادهم مختلفاً على نحو من الأنحاء ، وإن أجيالاً ليس بينها وبين العربية سبب لم تملك حين قرأت وسمعت القرآن أن آمنت وأذعنت واستمتعت إلى مدى بعيد : « ونحن نعلم أن أروع البيان وأبرعه وأعلاه درجة في الحسن إنما يروع من يقرأه أو يسمعه من أصحاب اللغة التي أنشيء فيها ، فإذا تجاوزهم إلى غيرهم من الأمم فقد كثيراً من روعته ، ولا كذلك القرآن حين يقرأه أو يسمعه من لم ينشأ تنشيئاً عربياً ، بل هو يحتفظ بروعته على اختلاف الأزمنة والأمكنة وأجيال الناس » (٣) .

ويلاحظ طه حسين بحق أن وجهاً من وجوه الإعجاز يتألق في اقتدار القرآن على تحويل التاريخ وتصيير البشر . . إذ أن هذا التاريخ كان تاريخاً للظلم والجهل والقهر والتخلف ، فأصبح بالقرآن تاريخاً للعدالة والعلم والإخاء والتقدم ، لقد أعطى القرآن الحضارة للتاريخ ! ! وكان البشر — في هذه الأمة — بشراً متناوئين متدابرين متقاطعين لا يدينون بغير السيف والدم ، فأصبحوا بالقرآن أخوة متعاطفين متضامنين لا يدينون بغير السلام والحب ، لقد أعطى القرآن الحب للعلاقات ! ! وهكذا يقف القرآن وحده من وراء هذا التحول التاريخي والحضاري للانسان وإطاره الوجودي الذي هو الحياة ! !

ويحرص طه حسين على توثيق قضية الإعجاز من خلال دراسة هادئة حول طبيعة النص القرآني من حيث النزول والجمع والنسخ في المصاحف والتواتر ، فيقرر أن القرآن قد نزل منجماً لأنه لو نزل جملة لما أطاقه القوم ، وكان ما ينزل منه يكتب في اثر تنزيله ، ثم جمع في أيام أبي بكر ونسخ في المصاحف وأرسل إلى الأمصار أيام عثمان ، وتواتر مسموعاً ومكتوباً فهو فوق الشك وفوق الجدال ، ربما تختلف قراءات المسلمين له مداً وقصراً وإمالة وإطلاقاً . ولكن سبعاً من هذه القراءات تواترت وأجمعت عليها الأمة ، ولا بأس منها على النص لا في لفظه ولا في معناه : « وقد رتب القرآن — كما هو بين أيدينا — سوراً منذ أيام النبي ، وقدمت في المصحف طوال السور على أوساطها ، وأوساطها على قصارها ، ولم يراع في هذا الترتيب نزول السور والآيات في مكة أو في المدينة ، ولا تاريخ نزول الآيات ، وإنما وضعت الآيات حيث كان النبي يأمر أن توضع السور ، ونحن نجد سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة في أول المصحف بعد الفاتحة مع انها مدنية ، ونجد الأنفال والتوبة ، وهما مدنيتان ، بين سور مكة ، وربما وجدنا في السورة المدنية آيات أنزلت بمكة ، وفي السورة المكية آيات أنزلت بالمدينة ، ذلك أن هذا الترتيب حسب مكان النزول وزمانه لم يراع ، وإنما القرآن واحد جاء كله من عند الله وتلاه النبي على المسلمين كله كما أنزل . . وقد بين الرواة الأولون والعلماء من بعدهم أماكن نزول الآيات والسور وتاريخها ، وحاول بعض المستشرقين أن يرتب القرآن حسب تاريخ نزول السور فلم يصنعوا شيئاً ، وترجم القرآن إلى بعض اللغات الأجنبية أحياناً على هذا الترتيب التاريخي فكان هذا النحو

(٢) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٤٩/١٥٠ (٣) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٥٢/١٥٣

من الترجمة والترتيب عبثاً لا يدل على شيء ، وإنما ينأى عما ألف المسلمون من الترتيب المعروف في المصحف (٤) .

ويلحظ طه حسين لوناً آخر من الإعجاز القرآني يتمثل في إطراد الاستنباطات العلمية غير المحدودة التي أستنبطها المسلمون من القرآن : في الشريعة ، والتاريخ ، والتفسير ، واللغة ، والنحو ، والقراءات ، واللهجات ، والبلاغة والفلسفة . . وما تزال كنوزه العلمية قابلة لمزيد من الكشوف والإستنباطات . . أجل لقد فجر القرآن ثورة جدل علمي خارقة ، وليس بين الأجناس القولية ما نستطيع أن نزعم أنه قد استقطب من اهتمامات الباحثين على كل الأصعدة بمثل ما استقطب القرآن ، وليس هناك نص يعرف له ما يعرف للقرآن من حفظ واستظهار وتأمل وشرح ، وليس في التراث الانساني كله شيء كالقرآن يقوم الألسنة العربية حين تلتوي بها اللهجات العامية المختلفة ، والأجنبية حين تلتوي بلغاتها المتباينة . ! !

ويستطرد طه حسين ليلمس قضية الإعجاز من وجهة أخرى ، هي قيام القرآن على الحفاظ التاريخي الذي لا ينتهي على اللغة العربية التي نزل بها ، والتي استهدفت لحملات ضارية وما تزال تستهدف لأضرى من هذه الحملات ، ومع ذلك فهي باقية بقاء الطود الأشم في مواجهة كل الأعاصير : « والقرآن بعد هذا كله هو الذي حفظ اللغة العربية أن تذوب في اللغات الأجنبية التي تغلبت على اللغة العربية بحكم السياسة في عصور كثيرة وظروف مختلفة ، فقد تفرقت كلمة المسلمين في السياسة وانحلت الخلافة العربية القديمة وخضع العرب لاستعمار الأعاجم ، حكمهم الفرس في دار الخلافة نفسها أولاً ، وحكمهم الترك بعد ذلك قروناً متصلة ، وجاء العصر الحديث فخضع العرب لسلطان الأجنبي الأوربي يقهرهم بالاستعمار والحكم المباشر لهم ، وتقهيرهم مرة أخرى بالتفوق في الحضارة المادية والمعنوية جميعاً ويضطرهم إلى أن يتعلموا اللغات الاوربية أرضاء لحكامهم من الأوربيين والتماساً لما في هذه اللغات من علم وأدب وفلسفة وفن ، وكان هذا كله جديراً أن يمحق اللغة العربية محقاً ، ويذهب شخصية الشعوب العربية ، ولكن القرآن عصم هذه اللغة من الضياع ، وحال بين الخطوب الجسام وبين التأثير فيها ، حرص العرب على القرآن لأنه يحفظ عليهم دينهم ، ولأنه قوام حياتهم . فقرأه عامتهم وخاصتهم وحفظوا منه القليل والكثير ، ودرسه علماؤهم في المساجد والمدارس ، واختلف اليهم ألوف كثيرة من الطلاب على تباعد الأمكنة والأزمنة . واضطروا من أجل فهم القرآن ودرسه في تعمق أن يدرسوا اللغة التي أنزل بها . . وأكثر من ذلك أن بعض الأمم الاسلامية التي خضعت لسلطان العرب في وقت مضى طوت قلوبها على بغض العرب والعروبة وآذتهم حين استطاعت إيذاء شديداً ، ولكنها على رغمها احتفظت بالقرآن لمكان الاسلام منها أو لمكانها من الاسلام فدرست القرآن ، ودرست لغته العربية (٥) .

ثم يشير طه حسين إلى أن إختلاف مذاهب القول في القرآن دليل قوي من دلائل الاعجاز ، فللقرآن وحدته من حيث هو يدعو دائماً إلى أصول معينة ، فلا غرابة في أن تختلف مذاهب القوم باختلاف ما تنحني عليه هذه الاصول من مفردات يذهب كل قوم في تفسيرها وتأويلها مذاهب شتى ، بينما تقف الأصول العامة بمنأى عن هذا التخالف مشعة بوميضها الهائل في دياجير كل العصور ! !

وهكذا يتكامل الجانب التنظيري في فكر طه حسين حول قضية الاعجاز القرآني ، ولكنه لا يقف بالقضية عند هذا المستوى التنظيري فحسب ، وإنما يتخطى هذا المستوى إلى مستوى آخر هو المستوى التطبيقي ، وقد أعطى هنا كما أعطى هناك شيئاً يستحق معاناة البحث والمقارنة والاستقصاء ! !

حين يستطرد طه حسين من منطلقات حديثة عن الجانب التنظيري في قضية الاعجاز إلى منطلقات حديثة عن الجانب التطبيقي في هذه القضية ، نحس على الفور أنه ينتقل من شاطيء التأمل الموضوعي إلى شاطيء التأمل الذاتي ، وإن كنا نضع هنا نفس الاحتراز الذي نصر على أن نضعه دائماً في مثل هذا الصدد من ضرورة عدم الفصل الحاسم بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي لأن النوعين يعملان معاً ويتقارضان بعض الرقعة التي يتحركان على مساحتها في رحلة البحث وجدلية الحوار ! !

يعرض طه حسين لقضية الاعجاز على المستوى التطبيقي من خلال قصة نوح في سورتي « هود » و« الشعراء » ، ليبين انها في سورة هود : « قد فصلت تفصيلاً كاملاً في غير تزيّد ولا إسراف وأديت معانيها في آيات ليست بالطوال ولا بالقصار ، ولكنها تؤدي المعاني في دعة وهدوء ، يكون فيها الإطناب حين يحتاج المقام إلى الاطناب ، ويكون فيها الايجاز حين يكون الايجاز آخذ للقلب وأدل على ما أريدت الدلالة عليه من الهول الذي يصوره الايجاز أكثر مما يصوره الاطناب ، ومن الأمر الذي يصدر فينفذ اثر صدوره في غير تردد أو إبطاء (٦) . ويقول : « فأنت تقرأها مفكراً فيها ، معتبراً في احداثها ، لا يعجلك عن ذلك شيء ، وأنت معجب بانبساط الحديث ومضي القصة في أناة تؤدي المعاني مستوية ويأتي الايجاز حين يجب أن يأتي فلا يضيّع عليك شيئاً من تمهلك ولا يعجلك عن التأمل والتدبر (٧) .

وينتقل طه حسين إلى سورة الشعراء ليتأمل نفس القصة التي تأخذ وضعاً مغايراً ، فهي هنا قافزة سريعة : « وسورة الشعراء كلها تروع وتبهر بقصر آياتها وانسجامها في هذا القصر وفي اتساق الفواصل في الآيات كلها »(٨) . ثم يقول : « وقصة نوح هنا موجزة أشد الايجاز ، لا يذكر فيها تفصيل العذاب الذي أخذ الله به الظالمين من قوم نوح ، وإنما يكتفي بذكر اغراق الله لهم ، ولا يذكر فيها صنع الفلك وحمل من حمل نوح فيه ، ولا وصف الموج الذي جرت فيه السفينة ، ولا قصة ما أصاب ابن نوح من العذاب ، ولا الحديث بين نوح وربه . . لا يذكر من هذا كله شيء ، وإنما يقص الحوار بين نوح وقومه ، وأعراض قومه عن دعوته ، وانذارهم نوحاً بالرجم ان لم ينته عن دعوته ودعاء الله نوحاً ان ينجيه ، وما كان من نجاته في الفلك المشحون ونجاة من آمن معه وإغراق الظالمين ، فقد اختصرت القصة هنا لأن ما قصد اليه من القصص كلها في هذه السورة إنما أريد به إلى تذكير المشركين بآيات الله فيمن سبقهم من الأمم ، وتخويفهم أن يصيبهم مثل ما أصاب تلك الأمم ، وإظهارهم على بطش الله

---

(٤) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٥٤/١٥٥ (٥) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٦٠/١٦١ (٦) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٦٣
(٧، ٨) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٧٢

بالظالمين ، وعلى الآيات الكبرى التي آتاها الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم . . . ومن أجل هذا اكتفى بما يؤدي هذه الأغراض في قوة وعنف يملكان على السامعين والقارئين أمرهم كله ، ومن أجل هذا أيضاً أديت هذه الأغراض في هذه الآيات القصار المتتابعة في نسق واحد كأنها السيل المندفع الذي يغمر كل ما يلقاه ، أو كأنها الريح العاصفة التي لا تدع شيئاً تأتي عليه إلاّ دمرته تدميراً » (٩) .

ويوغل طه حسين أكثر في الاتجاه التطبيقي المائل هنا إلى كثير من تعقيل الاحاسيس الذاتية والتأثرية ، فيقف مع أسلوب التكرار في القرآن وقفة دارس فاحص ليلاحظ ان هذا التكرار « ملتزماً » قد يجيء للانتقال من حديث إلى حديث كما في سورة « الصافات » وسورة « القمر » . . وقد يجيء هذا التكرار « غير ملتزم » وإنما يرسل نظام الآيات ارسالاً مع اتحاد الفواصل كما في سور كثيرة من المفصل . . وفي القرآن أسلوب آخر من التكرار للتخويف حيناً وللتعجيز حيناً آخر كما في سورة « المرسلات » من ختام الآيات دائماً بقول الله عز وجل « **ويل يومئذ للمكذبين** » : « واسلوب آخر في القرآن تتسق فيه فواصل الآيات ويلتزم فيها أو في أكثرها نسق بعينه كالذي تراه في سورة « مريم » من ختام الآيات أو أكثرها بكلمات تنتهي بالياء المشددة المفتوحة (١٠)— ويقول أيضاً : « وأسلوب آخر من الفواصل لا يلتزم فيه حرف بعينه كما التزمت الياء في مريم ، أو حرفان كما التزمت الياء والنون في الشعراء مثلاً ، وإنما تلتزم حركة بعينها هي الفتحة ، وإن اختلفت الحروف في أواخر الكلمات ، كالذي تراه في سورة الكهف من التزام الكلمات المنصوبة أو المفتوحة الآخر » (١١) .

ويضع طه حسين ملاحظاته التي لا نشك في أنها تأثرية وذاتية يفصح عنها قوله الدائم : « وأكبر الظن . . » و « يوشك ان . . » إلى آخر هذه الكلمات الملتصقة بقضية الذات أكثر من التصاقها بقضية الموضوع ، ولكن ملاحظاته التي يضعها على هذا النحو تشكل مع ذلك لوناً من النفاذ العقلي الثاقب الذي لا يكف عن محاولة الاقتحام . إن حديث الفواصل يثير فيه نزوعاً إلى تخصيص دراسة كاملة عنه لأنه أكثر تنوعاً من أن يوجز في فصل من كتاب : « وما نجده فيها من التنوع إن دل على شيء فإنما يدل على أن القرآن قد أنزل ليتلى ، ويتلى في صوت يسمع ، ذلك يظهر تنوع الآيات في خواتيمها وفواصلها ، ويظهر ألواناً مختلفة تروع باختلافها من الموسيقى ، فاذا أضيف ذلك إلى عذوبة الألفاظ وإتساق النظم وإختلاف الأسلوب باختلاف المقامات شدة وليناً وترغيباً وترهيباً وتبشيراً وإنذاراً ، لم يشك سامع أو قاريء في أن فنون الاعجاز في القرآن أكثر واروع من أن تحصى او يحاط بها » (١٢) .

وقريباً من هذا النحو يضع طه حسين ملاحظات أخرى حول قضية الفواصل المتسقة وطبيعة ورودها في القرآن ، فهي ليست عشوائية تساق هكذا عفواً : « وأكبر الظن ان التزام هذه الفواصل المتسقة إنما يكون حين يتحد موضوع السورة أو يأتلف ائتلافاً شديداً ، فسورة الشعراء مثلاً قد اختلفت فيها قصص الأمم التي كذبت رسلها ولكن موضوعها واحد هو التخويف والإرهاب وإنذار قريش وغيرها من مشركي العرب بأن ما أصاب تلك الأمم التي أصرت على تكذيب الرسل قد يصيبهم إن أصروا على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم . . وسورة طه توشك قصة موسى ان تستغرقها . . وفي سورة مريم تمجيد للأنبياء وتخويف للجاحدين » . (١٣)

وغير بعيد من هذا المنطلق يضع طه حسين ملاحظات أخرى ذات صلة بالعلاقة الحميمة بين التزام هذه الفواصل من جهة ، وبين وحدة السورة من جهة أخرى : « وأكبر الظن أيضاً أن الفواصل حين تلتزم على هذا النحو يدل التزامها على أن السورة انزلت مرة واحدة ولم تنجم آياتها كما تكون الحال في سورة أخرى لم تلتزم فيها الفواصل على هذا النحو ولم يتحد موضوعها او يشتد الائتلاف بين موضوعاتها ان تعددت ، وإتحاد الموضوع نفسه وشدة ائتلاف الموضوعات حين تتعدد قد يشعر بأن السورة أنزلت جملة واحدة وإن لم يلتزم في فواصلها ما نراه قد التزم في السور التي أشرنا اليها . فسورة يوسف مثلاً قد اتحد موضوعها اتحاداً لا شك فيه ، قد قصرت على قصة يوسف ، وما أرى إلاّ أنها أنزلت جملة . وقل مثل ذلك في سورة هود ، أو فيما اشتمل عليه أكثرها من قصص الأمم التي كذبت رسلها . »(١٤) ويستمر قائلاً : « وكذلك سور أخرى في القرآن تكثر موضوعاتها وتتباعد الصلة بين هذه الموضوعات ولا يلتزم في فواصلها ولا في أسلوبها نسق بعينه منذ تبدأ إلى أن تنتهي ، فسورة البقرة مثلا كثرت فيها الموضوعات وتباينت فدل هذا على أن السورة لم تنزل مرة واحدة وإنما نجمت تنجيماً . » (١٥) ثم يقول : « وقل مثل هذا في سائر سور القرآن الكريم ، فكل سورة يتحد موضوعها أو تتداعى موضوعاتها تداعياً شديداً ويلتزم فيها نسق بعينه فيرجح انها نزلت جملة . . وكل سورة تختلف موضوعاتها وتتباعد ولا تتداعى ولا يلتزم في آياتها نسق بعينه فيرجح أنها نزلت منجمة . » (١٦)

يخيل إليّ — بعد هذه الرحلة الهائلة العطاء — اننا نستطيع أن نؤكد أن دراسة من هذه النوعية الفاهمة المستقصية قد تجاوزت بالفعل مناطق البوح الذاتي في إعجابه المسطح ، وإنه بمثل هذا الشمول النافذ قد استطاع طه حسين أن يتأمل قضية الاعجاز من منظورين متكاملين . فهو في الجانب التنظيري قد أعطى أسساً شارك في بعضها وأضاف بعضها الآخر ، وهو في الجانب التطبيقي قد أعطى انطباعات وافق في شيء منها وخالف في بعض من الأشياء ، ولكنه هنا وهناك قد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الفكر المعاصر حين يتسلح بالوعي والاستبصار والدرس والأناة يستطيع أن يعطي لحركة الإبداع إضافات يمكن أن تثري وتخصب ، وهذا هو ما نهض به على مستوى من الفذاذة غير منكور .

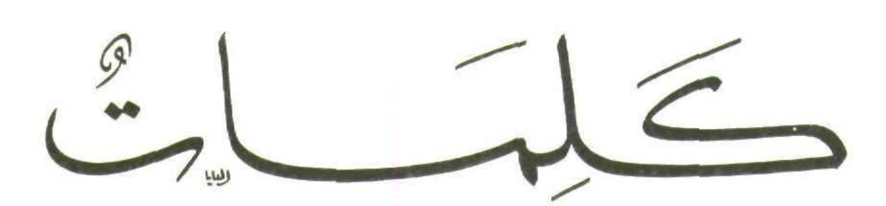
يبقى أن نؤكد في نهاية الرحلة بأن قضية الاعجاز في القرآن ستظل محيطاً هادراً بآلاف المعطيات ، وستبقى سماء منحنية على ما لا يحد من الفضاءات والارتفاعات ، وفي وسع الفكر المعاصر أن يغامر وأن يقتحم وأن يعود بكنوز من الحقائق العلمية والفكرية والفنية ، فقط على هذا الفكر المعاصر حين يبدأ رحلة المغامرة والاقتحام أن يتوضأ بماء الحدودية والتواضع ، فان أبعاد عالم الكشف كلمات المبدع الأول التي هي « القرآن » ! ! ! ●

محمد أحمد العزب — القاهرة

---

(٩) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٧٦ (١٠) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٧٧ (١١،١٢) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٧٩
(١٣) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٨٠ (١٤) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٨٥ (١٥،١٦) مرآة الاسلام لطه حسين ص ١٨٩





للشاعر : محمود أبو الوفا

للّه مستغفراً ، للنّاس معتذراً | ممّا لهوت به أو قلته ضجِرا

الله يشهد أني لم أكن أبداً | في أي يوم بفنّ القول متّجرا

ما قلته لم يكن إلاّ صدى بدمي | إمّا استجبت له ، أو في دمي انفجرا

وددت أني لقومي لم أجي لهمو | إلاّ بأندى وأهدى القول مبتكرا

عساه يغزو مكاني في قلوبهمو | يهزّهم للعلا أو يبلغ الظفرا

أودّ لو أن قومي في الحياة غدوا | لحناً يضيف إلى اوتارها وترا

وأننا في الورى – لو نستطيع – لما | كنّا سوى السمع ، أو كنّا لهم بصرا

لا فنّ ، لا علم إلاّ وهو في يدنا | فيه لنا الأمر ، أو منّا له الأمرا

ولن ترى أمّة في المجد صاعدة | إلاّ إذا العلم فيما بينها اشتجرا

والعلم أنفعه عندي وأرفعه | ما جدّد الأرض ، أو ما جادها ثمرا

وليس كالخلق إنهاضاً لصاحبه | إذا كبا دهرُه في الحظّ ، أو عثرا

يا صاحبي إنّ خَيْرَ الخيّريْنِ هما | من ينفع الناس ، أو من يمنع الضررا

الخير في الناس مهما الشّر غالبه | باق ، وللناس يبقى الخير منتظرا

سِرٌّ بصدري تخفيه جوانحه | تحت الحنايا يعيش العمر معتمرا

في موضع من ضميري لا شبيه له | إلاّ مكان ضمير جاء مستترا

ستّون عاماً وما شعرت به شفتي | ولا لساني به في مرة شَعُرا

ما باله الآن كالبركان فوهته | تَدّعُ صدري بمثل الجمر مستعرا

يا ليل ، يا عين ، يا عين الزمان متى | نجم العروبة يعلو الأفق مزدهرا

متى نرى الوحدة الكبرى مرفرفة | أعلامها فوق أعلام النجوم تُرى

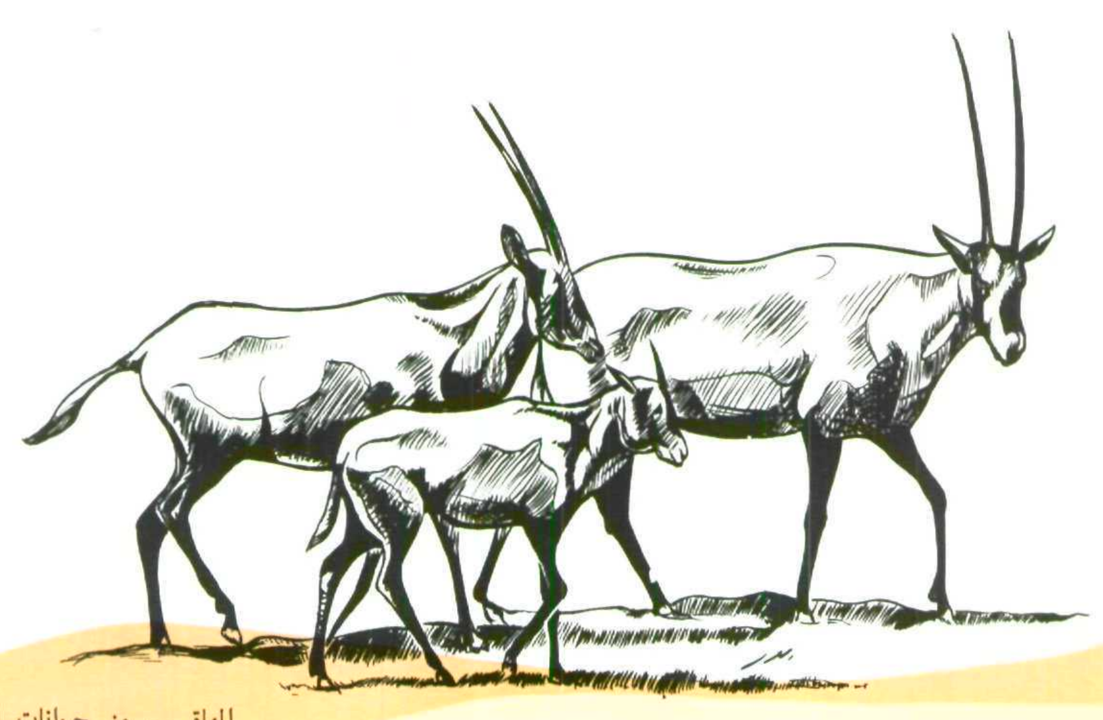
ماضي العروبة ما غضّ الزمان له | طرفاً ، ولا نال منه الدهر مقتدرا

أمجاده لم تزل شمّاءَ شامخة | آفاقها تتحدّى الشمس والقمرا

الله أكبر لو يأتي الزمان لنا | بمن إذا عاد ، عاد المجد منتصرا

محمود أبو الوفا – القاهرة

حيوانات تعيش في الصحراء



المهاة . . من حيوانات الصحراء التي تغنى شعراء العرب بجمال عيونها . .

دلت الصور التي التقطت في السنوات الأخيرة لسطح القمر ، وكذلك التي التقطت خلال رحلات الفضاء التي قام بها الانسان مؤخراً ، دلت على انعدام أسباب الحياة تماماً هناك ، ولو أننا نظرنا عن بعد إلى سطح كوكب الأرض وما يحويه من مخلوقات وكائنات ، لبدا لنا وكأنه حديقة واسعة الأرجاء مترامية الأطراف . . الحياة فيها دائبة والحركة مستمرة والأجواء مختلفة لا يقدر على وصفها قلم ولا يستطيع تصويرها فنان ، لأنها من صنع الخالق جلت قدرته وتبارك في ما صنع . وحتى المناطق المتجمدة والصحارى الموجودة على سطح الأرض لا تخلو من الحياة ومن جمال الطبيعة وإن كانت ظروف الحياة فيها صعبة وقاسية بالنسبة للمناطق الأخرى . والغريب أننا حينما نذكر اسم الصحراء تقفز إلى أذهاننا صورة تلك المساحات الشاسعة من الرمال القاحلة والتلال الجرداء حيث لا يوجد أثر لإنسان أو حيوان أو نبات ، ولكن الواقع هو عكس ذلك تماماً فالصحارى في المملكة العربية السعودية حيث ترتفع درجة الحرارة إلى أعلى المستويات ، وتنخفض أحياناً إلى درجة التجمد وحيث تكون الأرض قاحلة جدباء ، رغم ذلك فانها لا تخلو من الحيوانات المختلفة الأنواع التي يندهش الانسان لوجودها وتناسلها في مثل هذه الأماكن القفراء وتأقلمها مع ظروفها المناخية القاسية حفاظاً على دورتها الحياتية ، ولا يؤول مصيرها إلى الانقراض ، ومن أبرز هذه الصعاب ندرة هطول الأمطار . ففي بعض المناطق الصحراوية ينزل المطر بنسبة أقل من بوصة واحدة في العام وفي مناطق أخرى لا تنزل قطرة واحدة طوال العام ، هذا فضلاً عن ارتفاع درجة الحرارة وخصوصاً في شهر يوليو اذ تتراوح الحرارة ما بين ٣٥ و ٤٥ درجة مئوية في الظل ، لهذه الأسباب يندر وجود النبات والأعشاب مما يجعل حياة الحيوانات فيها صعبة وشاقة ويجعلها عرضة للافتراس . لذلك نجد أن معظم حيوانات الصحراء اللبونة لا تغادر جحورها إلا تحت ستر الظلام ، كما أن لونها الضارب إلى الصفرة يساعدها على الاختفاء لأنه قريب من لون رمال الصحراء .

يوجد في صحراء المملكة العربية السعودية نوعان من أنواع الفأر الشوكي ، يعيشان في المنطقة الصخرية الجرداء ، أحدهما الفأر الشوكي الذهبي « Acomys Russatus » الذي تختلف طريقة عيشه عن باقي الحيوانات الليلية ، والذي يشاهد أحياناً مندفعاً بين الصخور في منتصف النهار عندما تكون حرارة الشمس على أشدها ، وأما لونه فيكون عادة ما بين الجزري والبني الفاتح . أما الأنواع المشابهة له والتي تظهر أثناء الليل فان لونها يتأثر بلون الصخور والتربة التي تعيش فيها ، لذلك فقد وجدت في التربة والصخور الداكنة اللون ، أنواع من الفئران لونها ضارب إلى الرمادي ، وظاهرة التلون هذه تكاد تكون موجودة لدى أنواع كثيرة من حيوانات الصحراء اللبونة ، ولا يشذ عن هذه القاعدة سوى آكل العسل (Honey Badger)

ذي اللونين الأسود والأبيض . فهذا الحيوان شرس وعضته قوية وله مقدرة على الاختباء بسرعة ، وقدرة على افراز رائحة كريهة مما لا يسمح لأعدائه بالاقتراب منه . لذلك فانه لا يحتاج إلى تغيير لونه . وهذا ما يثبت لنا تماماً أن أسلافه قد تركت لتعيش بسلام فالألوان الواقية التي تكتسبها بعض الحيوانات تكون عادة ذات فائدة بالنسبة للحيوانات التي تقبع في أماكنها دون حركة عندما تشعر بالخطر وهذه العادة تنتشر بين أرانب الصحراء التي تتلون أحياناً بلون التربة فتصعب رؤيتها ، لأن مسألة الهرب والاختفاء عن أعين المطاردين في مناطق قاحلة تعتبر عاملاً مهماً بالنسبة إلى حياة حيوانات الصحراء الصغيرة التي لا حول لها ولا قوة ، لذلك نجد أنه نادراً ما يبتعد حيوان صغير عن جحره . ولكن اليرابيع التي تعتبر من الحيوانات القارضة ، فقد وجدت حلاً خاصاً لهذه المشكلة يكمن في خصائص تكوينها الجسماني اذ أن لها أرجلاً خلفية طويلة وثلاث أصابع طويلة في كل قدم ، أما أقدامها الأمامية فقصيرة جداً وهي تشبه من حيث تكوينها الجسماني حيوان الكنغر ، وهذه الأرجل الطويلة تساعدها على التحرك بسرعة والقيام بقفزات واسعة ومتعرجة ، مما يجعل القبض عليها صعباً جداً ويمكنها من الفرار بعيداً عن مطارديها . ويوجد نوعان من هذه اليرابيع في صحراء المملكة العربية السعودية ، نوع له خمس أصابع في قدمه ويعيش في المناطق الصخرية من الصحراء في شمال المملكة ، والنوع الثاني له ثلاث أصابع في قدمه ، وهو منتشر في الصحراء ، ويعتبر من أكثر الحيوانات تأقلماً مع طبيعة الصحراء . ولهذا المخلوق الصغير قدرة كبيرة على العيش في الصحارى الرملية ، كما انه ينتقل فوق الرمال الناعمة بخفة وباقدام ثابتة وذلك بفضل الشعر الطويل القاسي الذي يعلو أصابع قدميه . وتنطبق هذه الصفات أيضاً على « قطة الصحراء — Felis Margarita » ، فان لبد القدم الذي نراه في أسفل قدم القطة العادية قد زال وحل محله لدى قطة الصحراء ، شعر قاس ، طويل ومجدول يساعدها على السير فوق الرمال ، وقد طرأ هذا التغير على أقدام الأرنب البري أيضاً .

ومن جهة أخرى ، فان الأعشاب التي تقتات عليهـا بعض الحيوانات البرية يندر وجودها في بعض المناطق الصحراوية ممـا يسبب نقصاً كبيراً في غذاء هذه الحيوانات ، قد يحدث بدوره نقصاً في عدد الحيوانات الصحراوية كما يضطر بعضها إلى الافتراق عن بعض مسافات كبيرة متباعدة ونائية . وهكذا نجد ان الحيوانات الصحراوية تواجه صعوبة كبيرة في جمع شمل فصائلها حفاظاً على عامل التناسل والتكاثر فيما بينها . وهناك ظاهرة تتميز بها الحيوانات الصحراوية اللبونة ألا وهي كبر آذانها ، ولا يشذ عن هذه الظاهرة سوى عدد قليل جداً . ومن هذه الحيوانات اللبونة « الثعلب الأفريقي — Fenner Fox » و « قطة الرمل — Sand Cat » والأرنب البري ، وحتى القنفذ الذي يجوب الصحارى القاحلة فان أذنيه كبيرتان ، ولعل السبب في ذلك من الوجهة الفيسيولوجية ، هو مساعدة جسم الحيوان على تصريف جزء كبير من الحرارة . ومن خصائص هذه الحيوانات مقدرتها على تحديد مصادر الأصوات بدقة وذلك بسبب اتساع طبلة الأذن لديها وخصوصاً الحيوانات القارضة مثل «جرذ الرمل—Meriones» اذ انها تغطي معظم مؤخرة الجمجمة . وقد دلت الأبحاث مؤخراً على أن اتساع طبلة الأذن يساعد على تقوية حاسة السمع لدى الحيوان بحيث يصبح بالامكان التقاط الأصوات عن بعد يعادل أبعد حد يصل اليه صوته .

وهناك ظاهرة أخرى تتميز بها اليرابيع ألا وهي وجود خصلة شعر تحمل اللونين الأسود والأبيض في طرف الذنب ، وتظهر واضحة وهي ترتفع وتنخفض أثناء التنقل ، خصوصاً في ضوء القمر او عند غروب الشمس ، ويعتقد بأن حركة الذنب هذه هي بمثابة انذار يطلقه اليربوع ضد الأخطار . وهناك نوع من الجرذان الصحراوية ينتهي ذنبه بخصلة من شعر أسود وظيفتها أنها تنشط حركته أثناء النهار . وإذا ما شعر بأدنى خطر رفع ذيله مستقيماً إلى أعلى محذراً بذلك أفراد جماعته من وجود خطر ما . ومن المشكلات الأخرى التي تواجه حيوانات الصحراء اللبونة ، والتي لا بد من ايجاد حل لها ، القيود الفيسيولوجية التي يفرضها عليها مناخ الصحراء . أما مشكلة الحرارة فتعتبر أقل هذه المشكلات صعوبة لأن حرارة الشمس المحرقة لا تتسرب إلى بطن الأرض ، ومعظم حيوانات الصحراء القارضة تقوم باغلاق مداخل جحورها أثناء النهار ، مما يساعدها على الاحتفاظ بالرطوبة في داخلها والحيلولة دون تسرب الحرارة اليها . وهناك حيوانات أخرى لبونة مثل « الهايركس — Hyrax » الصغير الفريد في نوعه والذي يشبه الأرنب في شكله ، تلجأ إلى المغاور والحفر التي في الصخور لتقي نفسها شدة الحر . أما الحيوانات الكبيرة مثل المهاة والغزال فان مشكلة الاتقاء من شدة الحر بالنسبة اليها ، تكون أكثر صعوبة ، وقلما تجد هذه الحيوانات مكاناً تحتمي به أكثر من ظل يمتد خلف تلة رملية أو صخرة ناتئة بين الصخور وفضلاً عن هذه الصعوبات التي تواجهها حيوانات الصحراء في البحث عن الغذاء وعن أماكن تقيها شدة الحر ، ثمة مشكلة اخرى أصعب من سابقتها بكثير ألا وهي مشكلة عدم توفر مياه الشرب في الصحراء ولكن حيوانات الصحراء لجأت إلى طرق عديدة مختلفة للتغلب على هذه المشكلة الصعبة ، ومقاومة الظمأ والصبر على العطش لمدة طويلة . فبعض الحيوانات القارضة مثلاً تتغذى على أوراق نوع من النبات الذي يختزن في أوراقه كمية من الماء تغنيها عن الشرب ، ومن هذه



« قطة الرمل » من الحيوانات النادرة ، وقد تم القبض على إحداها في صحراء المملكةالعربية السعودية .





الفأر الشوكي الذهبي الذي لا يتأثر بشدة حرارة الشمس والذي يعيش بين الصخور .



يربوع صحراوي له خمس أصابع في قدمه ويعيش في شمالي المملكة العربية السعودية .

النباتات نوع يُسمى « تراجانوم – Traganum » وتحتوي أوراقه على نسبة تقدر بحوالي ٨٣ في المائة من الماء . وهناك نوع آخر من النباتات تظل براعمه رطبة حتى في أوقات الحر يعتبر الغذاء المفضل لدى غزلان الصحراء . ولكن اعتماد الحيوانات على هذه النباتات يحد من حرية تنقلها ويفرض عليها البقاء في الأماكن التي تنمو فيها مثل هذه النباتات ، إلاّ أن هناك أنواعاً أخرى من الحيوانات القارضة قد تأقلمت مع بيئة الصحراء فأصبحت قادرة على البقاء مدة طويلة دون ماء رغم انها تقتات على البذور الجافة . وقد دلت الحفريات التي أجريت داخل بعض جحور الجرذان على وجود كميات من البذور الجافة مخزونة داخل أنفاق منفصلة عن الجحور ، تقتات منها خلال أشهر الصيف . أما اليربوع الذي يعيش في صحراء سيناء فلديه المقدرة على العيش مدة ثلاث سنوات على غذاء واحد يتألف من الشعير أو القمح الجاف الذي لا يحتوي إلا على نسبة قدرها ١٠ في المائة من الماء فقط . من هنا نرى مدى مقدرة يرابيع الصحراء على العيش على غذاء واحد لا يتعدى الحبوب الجافة . كذلك توجد حيوانات صحراوية أخرى تختزن الماء ضمن مستودعات خاصة تتكون من مواد دهنية . وعندما يحتاج الواحد منها إلى كمية من الماء فان جزءاً من هذه المواد الدهنية المخزونة يأخذ بالذوبان حتى يصار إلى سائل يعوض الحيوان عن النقص في الماء الذي أصاب جسمه نتيجة لعدم توفر ماء الشرب . وبهذا الصدد يعتبر



قنفذ الصحراء الذي يتميز عن غيره بكبر أذنيه وتحمله لشدة الحر .

الجمل من أشهر أنواع هذه الحيوانات الصحراوية وأكثرها صبراً على الجوع والعطش بل وأضخمها جسماً وأكثرها تحملاً لشمس الصحراء الحارقة وحرارتها اللافحة ، وفضلاً عن ذلك فقد زودته العناية الالهية بأخفاف في أرجله تمكنه من السير فوق الرمال بكل سهولة دون أن تغوص أرجله فيها حتى ولو كان محملاً بالأثقال ، ولطالما اشتهر الجمل بهذه المزايا الخاصة التي استحق من أجلها لقب سفينة الصحراء . أما أسباب تحمله للعطش رغم ضخامة جسمه فهذه ظاهرة يعزوها العلم إلى أن الجمل يختزن في سنامه كمية من الدهن تزن ما بين ٢٠ و ٣٠ رطلاً ، وكل رطل من هذا الدهن يزود الجمل برطل وعشر الرطل من الماء وذلك عن طريق اتحاد الهايدروجين الخارج من فم الجمل مع الأكسجين الداخل أثناء التنفس . ومما يدعو إلى الدهشة حقاً أن هذا الحيوان الرائع يستطيع أن يتحمل النقص الكبير الذي يطرأ على جسمه بسبب عدم شرب الماء لمدة طويلة والذي يصل إلى ٢٥٪ من وزنه الأصلي ، كما انه يستطيع أن يتحمل شدة الحر حتى ولو ارتفعت حرارة الجو إلى تسع درجات مئوية فوق المتوسط . . ومن المدهش أيضاً انه حين يتوفر له الماء فانه يشرب حوالي ٢٥ جالوناً ، فيعوض بذلك ، النقص الذي طرأ على جسمه بسبب انقطاع الماء عنه مدة طويلة – ومما يذكر عن بعض حيوانات الصحراء انها تضطر أحياناً ، بسبب شدة الحر وعدم توفر الماء ، إلى شرب الماء الأجاج ، فقد روى احد الجوالين أنه شاهد غزالاً عربياً جميلاً يشرب من ماء البحر ،



يتميز أرنب الصحراء بكبر أذنيه مما يساعده على تحديد مصادر الأصوات بدقة .



هذا الجرذ الصحراوي له ذنب طويل وفي طرفه خصلة شعر سوداء تنشط حركته وتساعده على السرعة في الجري أثناء النهار .

وانه لاحظ ميلاً لدى هذا النوع من الغزلان إلى شرب الماء الملح ، فقد حدث يوماً أن اصطاد غزالاً وأخذ يعتني به فكان كلما اقترب منه أثناء الحر الشديد ، أخذ الغزال يلعق العرق الذي يتصبب من ذراعي الرجل وساقيه .

ومما تجدر معرفته أن خفافيش الصحراء تشعر أيضاً بالظمأ وتضطر إلى البحث عن أماكن تجمع الماء لتروي ظمأها ، والسبب الرئيسي في حاجة الخفافيش إلى الماء ليس الحر وحده بل الغذاء الذي تتناوله والذي يتكون معظمه من الحشرات التي تحتوي على نسبة عالية من البروتين ، وارتفاع البروتين يتولد عنه فقدان الجسم لكمية كبيرة من الماء بسبب الافرازات البولية . .

ولكن الحيوانات الثديية آكلة الأعشاب تواجه مشكلات معيشية أخرى صعبة خلال مواسم الجدب الطويلة حيث يندر وجود الأعشاب فالنوع الكبير من هذه الحيوانات مثل المهاة يقطع مسافات طويلة بحثاً عن الكلأ ، في أماكن تكون قد هطلت فيها بعض الأمطار ، ونبتت أعشاب جديدة خضراء . ومما يعرف عن المهاة انها تقطع مسافة ٩٦ كيلومتراً ، في سير متواصل تقريباً ، خلال مدة تقل عن ١٨ ساعة ، وانها تستطيع البقاء لأشهر دون ان تحتاج إلى شرب الماء ، مكتفية بالرطوبة التي تمتصها من الأعشاب ، وبالطل الذي يتساقط على سطح النباتات ، وتعتبر المهاة من الحيوانات الثديية القادرة على هضم النباتات المرة والنباتات الغضة الملينة للمعدة .

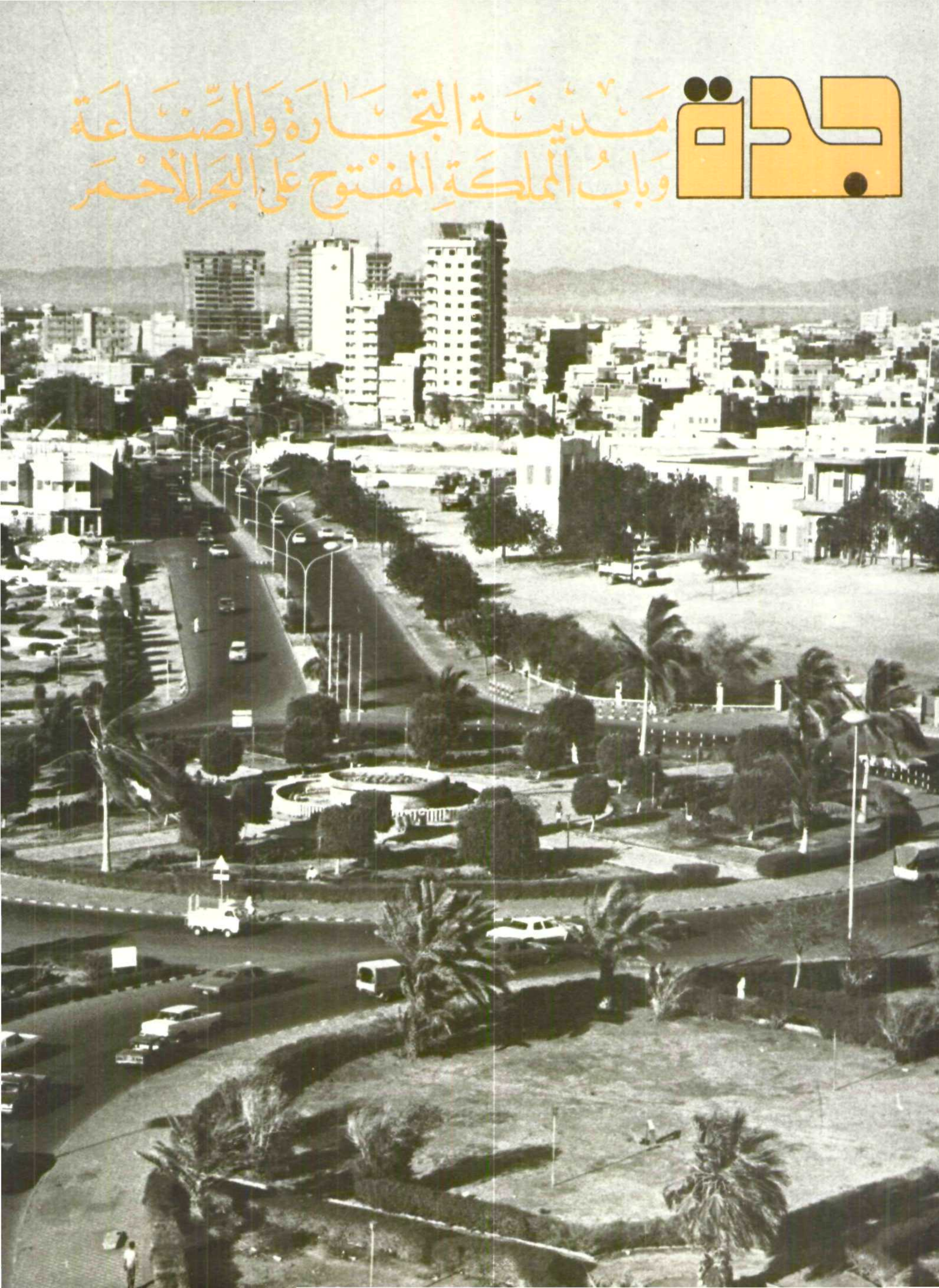
أما الحيوانات الثديية الصغيرة فانها تكون أسوأ حظاً من المهاة خلال مواسم الجدب الطويلة . إلا أن بعض الحيوانات القارضة تضطر إلى الانزواء في جحورها العميقة والعيش على ما تختزنه من طعام في داخلها إلى ان تتحسن الأحوال الطبيعية . وهناك أنواع منها تستطيع أن تخدر نفسها ، أي أن تصبح في حالة سبات طويل ، فتنخفض بذلك حاجتها إلى الغذاء انخفاضاً كبيراً ، ويعتبر الجربوع من هذا النوع من الحيوانات ، فقد لوحظ انه يختفي تماماً خلال أشهر الصيف الحارة . وكذلك الخلد فانه يعتبر من الحيوانات التي تختزن طعامها داخل جحورها ، كما أنه من أنشط الحيوانات حركة وأكثرها عملاً ، فقد عثر في أحد جحوره على حوالي اربعين رطلاً من البطاطس والشمندر . وهذا المخلوق الغريب « الخلد » قد تغير شكله تماماً عن ذي قبل ، وتطور مع الحياة التي يحياها تحت الأرض ، ففقد بذلك كل أثر خارجي لعينيه وأذنيه وذنبه ، وأصبح يعتمد كل الاعتماد على أسنانه الكبيرة الحادة في الحفر وعلى رأسه المسطح الذي يشبه الجرافة في نقل التراب إلى خارج جحره .

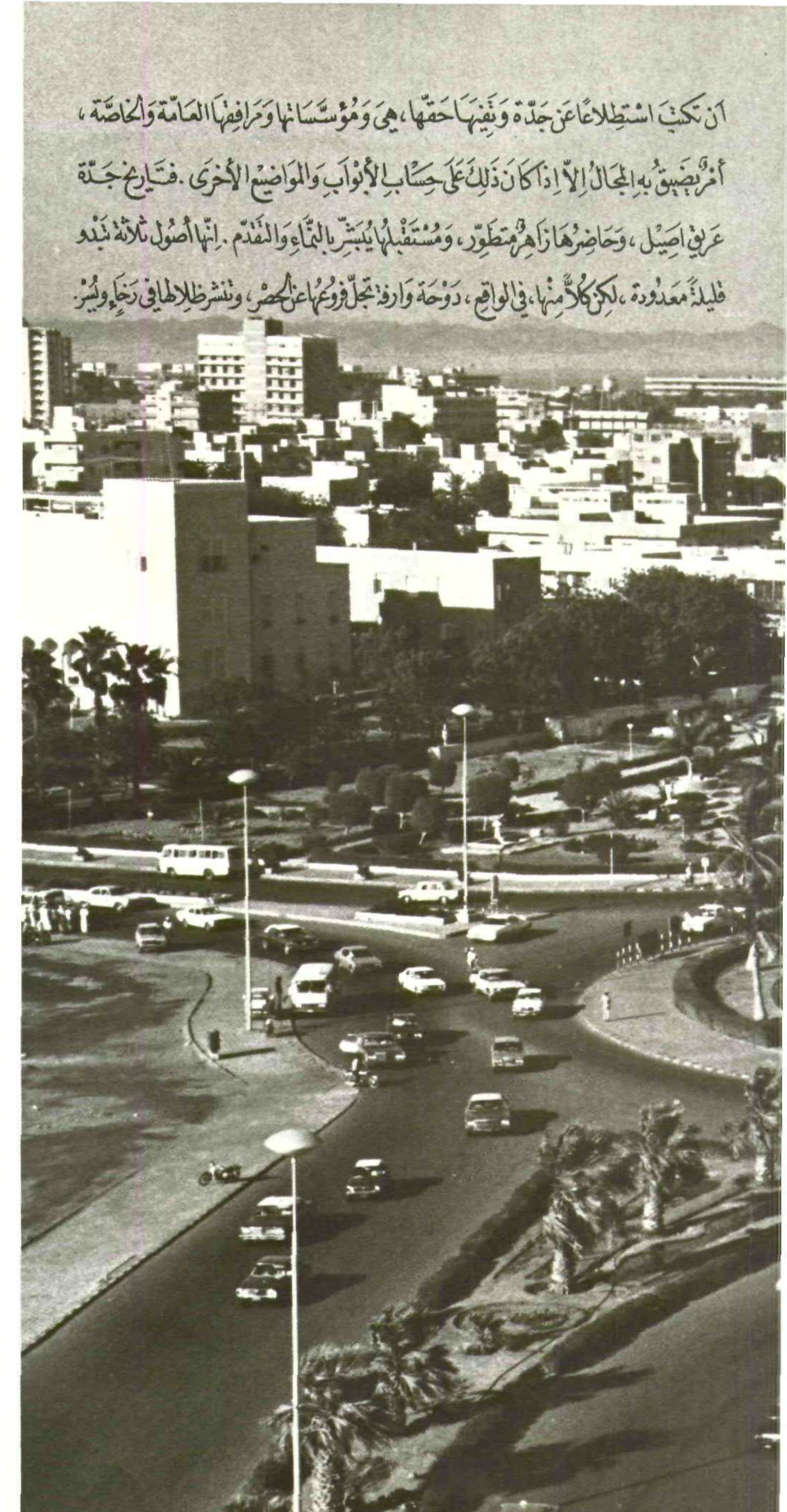
وخلاصة القول أن مخلوقات الصحراء قد حباها الله خصائص ومزايا كثيرة تمكنت بفضلها من التكيف والتأقلم مع قسوة الصحراء في حرها وقرّها ، في قفرها وجدبها كل ذلك من أجل البقاء ومن أجل الحفاظ على ظاهرة التناسل والتكاثر متحملة في سبيل ذلك شتى صنوف المخاطر ومختلف ضروب المشاق . . ولله في خلقه شؤون ●

اعداد : زكريا الكنا – هيئة التحرير



الغزال الأبيض من حيوانات الصحراء التي تصبر على الظمأ وتميل إلى شرب الماء الملح .


جدة
مدينة التجارة والصناعة
وباب المملكة المفتوح على البحر الأحمر



تخيل لزائر جدة والطائرة تهبط في مدرج المطار انها لا محالة ستحط به في أحد شوارع المدينة . وما أن يغادر صالة المسافرين حتى يتحقق تخيله ، ويجد نفسه في سوق تزدحم بالمحلات التجارية التي تبيع مختلف أصناف البضائع والحاجات برواج وإقبال ، والطرقات تعج بالسابلة الساعين لقضاء مصالحهم . ومع أن المعروف عن المطارات انها تقام بعيداً عن المدن وأماكن السكن والأسواق ، وهذا فعلاً ما كان عليه مطار جدة الحالي قبل سنوات ، إلاّ أن النمو السكاني والتطور العمراني أخذا يزحفان ناحية المطار حتى كادت واجهات المحلات التجارية أن تطغى على واجهات مبانيه .

وإذا كان البعض يستحسن أن نتحدث عن جدة حسب التسلسل الزمني فنتطرق اولاً إلى تاريخها العريق وماضيها الحافل ، فانه يجدر بنا أن نبدأ الحديث عن جغرافيتها وموقعها ، حيث جرت أحداث ذلك التاريخ وحيث يقوم التطور الحاضر لبناء المستقبل المشرق .

تقع جدة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر في ثغر طبيعي يخترق الجرف المرجاني الممتد على طول الساحل . وعلى بعد ٧٣ كم إلى الشرق منها تقوم مدينة مكة المكرمة ، ومن بعدها — على سلسلة جبال الحجاز — تقوم مدينة الطائف ، مصيف المملكة الجميل . والمنطقة المحيطة بجدة منبسطة بوجه عام ، وليس فيها ما يميزها من تضاريس طبيعية . ويمتد بعد هذا الشريط الساحلي المنبسط الذي يبلغ عرضه ١٢ كم ، شريط من التلال التي تشكل سلسلة من النتوءات الجبلية .

يتأثر مناخ جدة بموقعها على ساحل البحر الأحمر إذ يبلغ متوسط درجات الحرارة في أشهر الصيف حوالي ٣٢ درجة مئوية ، كما تتراوح معدلات الرطوبة النسبية التي تأتي بها الرياح الموسمية بين ٧٥ و ٨٠ في المائة .

يوحي اسم « جدة » واسطورة وجود قبر « حواء » فيها بأنها عريقة في القدم ، ويذكر التاريخ المدوّن أن إحدى القبائل قد استوطنتها منذ نحو ٢٥٠٠ سنة وأن بعض تجار الفرس قد أتوا اليها بعد ذلك وأقاموا قرية فيها وقطنوها . كما تشير الكتب إلى أن ازدهار مدينة جدة قد ارتبط بازدهار مدينة مكة المكرمة وخاصة عندما امتدت الفتوحات الاسلامية إلى بلاد شمالي أفريقيا . أما من ناحية تسميتها فقد اختلفت

الاراء حول ذلك ، فمن قائل ان اسمها « جُدّة » بضم الجيم ، ومن قائل انه « جَدّة » بفتح الجيم ، ومن قائل بأنه « جِدّة » بكسر الجيم ، غير أن الاسم الأول أيَ « جُدّة » بالجيم المضمومة والدال المشددة هو الاغلب .

وإذا كان ازدهار مدينة جدة قد ارتبط في الماضي البعيد والقريب بازدهار مكة المكرمة ، وأن المدينتين قد نمتا جنباً إلى جنب ، فانهما في الوقت الحاضر أشد تماسكاً وترابطاً . كما ان جدة اليوم تقوم بدور بارز في المنطقة الغربية ، فهي مركز التجارة والصناعة ، وأهم ميناء بحري وجوي ، كما انها ، بحجمها وثروتها ، تعتبر سوقاً كبيرة للمنتجات والمحاصيل الغذائية المحلية من خضار وفواكه . وعن طريق مطارها الذي يحتل مركزاً رئيسياً ليس في المنطقة الغربية وحسب ، وإنما في المملكة بوجه عام ، يصل حوالي نصف الحجاج الوافدين من الخارج لتأدية فريضة الحج ، وهي النقطة الرئيسية لاستقبالهم ومغادرتهم . وعن طريق مينائها البحري توفر جدة الجزء الأكبر من احتياجات المنطقة الغربية المستوردة من الخارج ، كما تستورد نحو نصف الكميات التي تحتاجها المملكة .

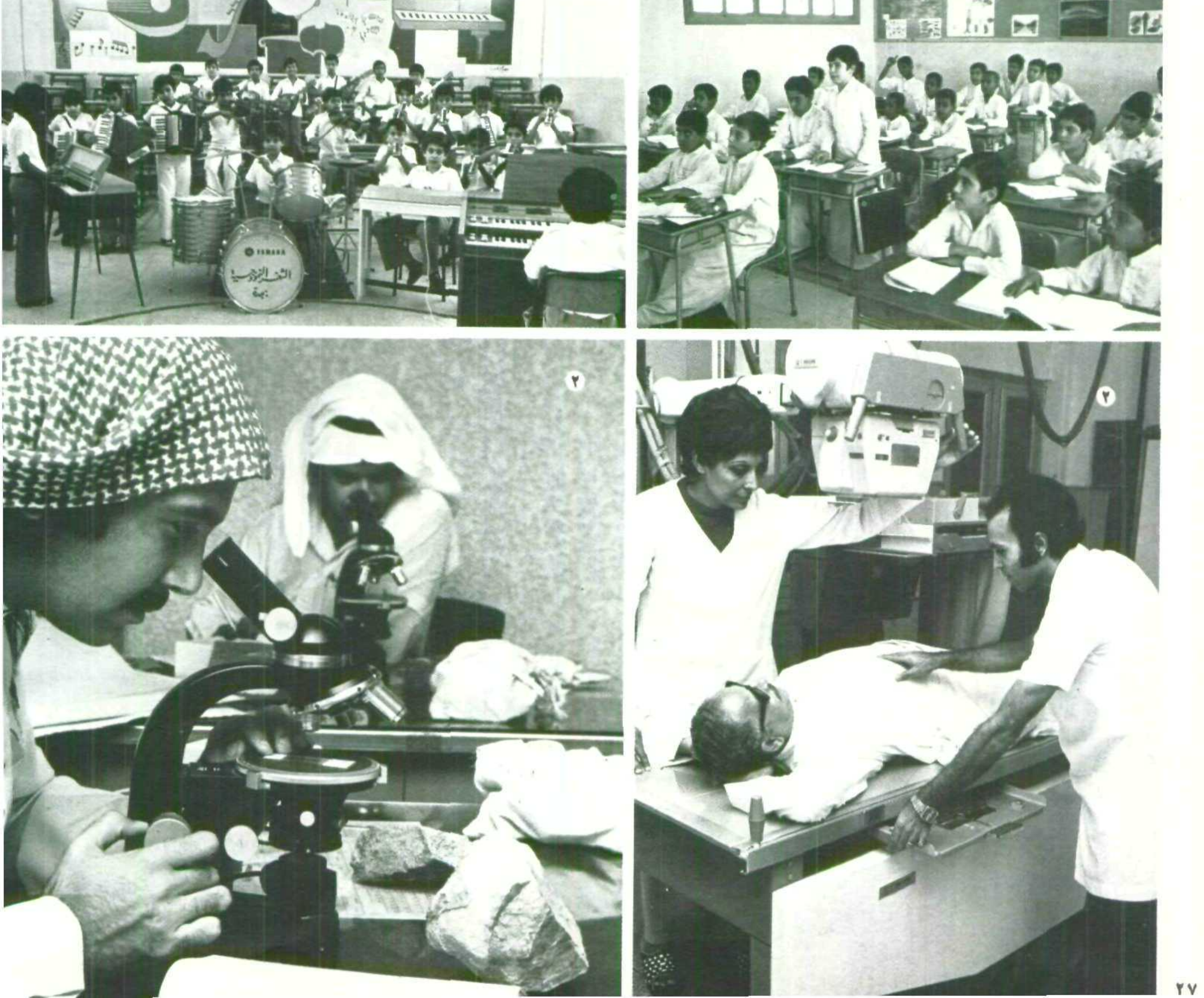
وما دمنا بصدد الحديث عن المطار والميناء فانه تجدر بنا الاشارة إلى أن المطار الحالي

١ – تنتشر مدارس البنين والبنات ، في مختلف أنحاء جدة وأحيائها .

٢ – يعتبر مستشفى الملك في جدة من المستشفيات الحديثة المجهزة بالمعدات الطبية المتطورة .

١ – الفرقة الموسيقية في مدارس الثغر النموذجية تعزف بعض المقطوعات الموسيقية .

٢ – طالبان من مركز الجيولوجيا التطبيقية يفحصان عينات من الصخور لمعرفة تركيباتها .

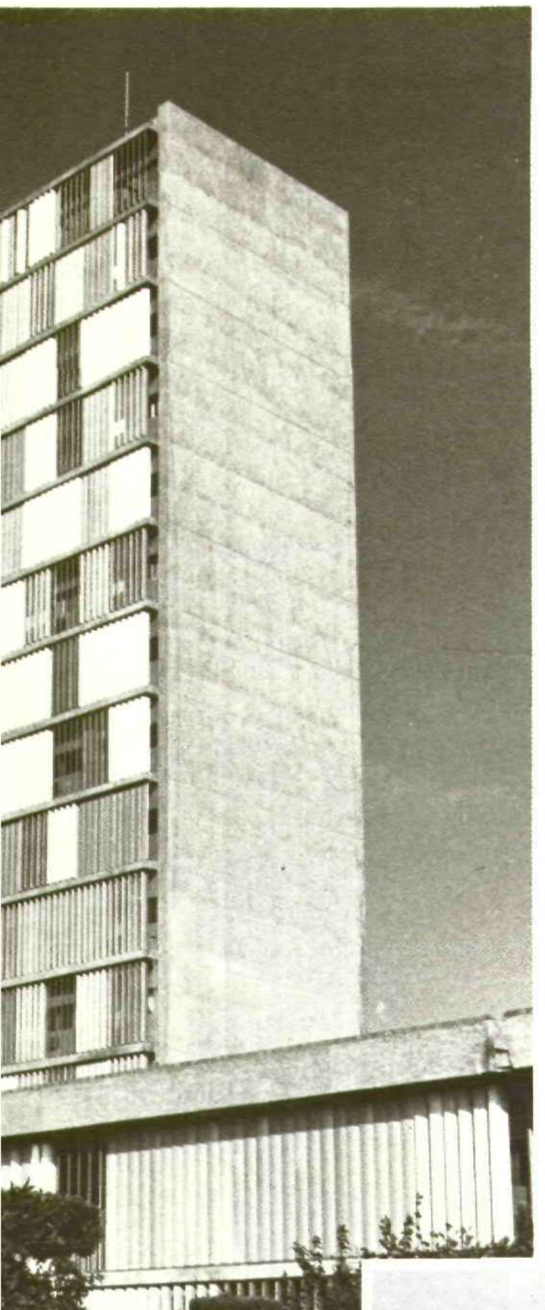


طالبة ، هذا بالاضافة إلى المدارس والمعاهد الأهلية والخاصة للبنين والبنات ، على اختلاف مستوياتها ، وهي كثيرة ومتنوعة ، ومنها الليلية والنهارية .

وأثناء جولتنا زرنا بعض هذه المؤسسات التعليمية كمدارس الثغر النموذجية التي تعتبر من أرقى المدارس في المنطقة . فهذه المؤسسة تتمشى مع أحدث الطرق التربوية ، ويتلقى العلم في مراحلها الابتدائية والمتوسطة والثانوية ١٦٢٣ طالباً . وهي تهتم بالنواحي العلمية والرياضية وفيها اربعة معامل : واحد للعلوم وآخر للكيمياء وثالث للطبيعة ، والرابع خاص بتعليم اللغة الانجليزية .

ومن أهم الصروح العلمية التي زرناها في جدة جامعة الملك عبدالعزيز الفتية التي أصبحت اليوم في مصاف الجامعات الراقية في الشرق الأوسط . فقد انشئت هذه الجامعة في العام الدراسي ٨٧ — ١٣٨٨ بكلية للاقتصاد والادارة ولم يتجاوز تعداد طلابها آنذاك ٩٠ طالباً وطالبة . وفي أوائل عام ١٣٩١ ضمت إلى نظام التعليم العالي بوزارة المعارف ، بعد أن كانت جامعة أهلية . واستمرت هذه الجامعة في النمو والازدهار حتى بلغ عدد طلابها في الفصل الأول من العام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ (٤٩٥٠) طالباً وطالبة ، ومما يذكر أن حصة الجامعة من ميزانية الدولة للسنة المالية ١٣٩٦/٩٥هـ ، أربت على ٤٥٥ مليون ريال سعودي . وصارت تضم خمس كليات هي : التربية ، الشريعة ، الآداب ، الاقتصاد ، العلوم . وفي أواخر هذا العام سيفتتح فيها كلية للطب وأخرى للهندسة .

ومن المؤسسات التعليمية البارزة التي زرناها أيضاً مركز الجيولوجيا التطبيقية الذي وقعت الاتفاقية بانشائه في محرم ١٣٩٠ (مارس ١٩٧٠) بين وزارة البترول والثروة المعدنية وبرنامج الأمم المتحدة الانمائي ومنظمة اليونسكو . ويقدم المركز حالياً دراسات في مجالات الاستكشاف المعدني ، والهيدروجيولوجيا ، والجيولوجيا الهندسية ، ويمنح شهادة الماجستير في هذه التخصصات ويشترط في الملتحق بهذا المركز للحصول على درجة الماجستير في مجال الاستكشاف المعدني أن يكون حاصلاً على بكالوريوس علوم في الجيولوجيا من احدى الجامعات المعترف بها في المملكة . كما يشترط في الملتحقين للحصول على درجة الماجستير في مجالي الهيدروجيولوجيا والجيولوجيا الهندسية أن يكونوا حاصلين على بكالوريوس علوم في



مبنى وزارة الأعلام في جدة و

مبنى وزارة الخارجية ويظهر في مؤخرة الصورة عدد من الأبنية والعمارات الحديثة .



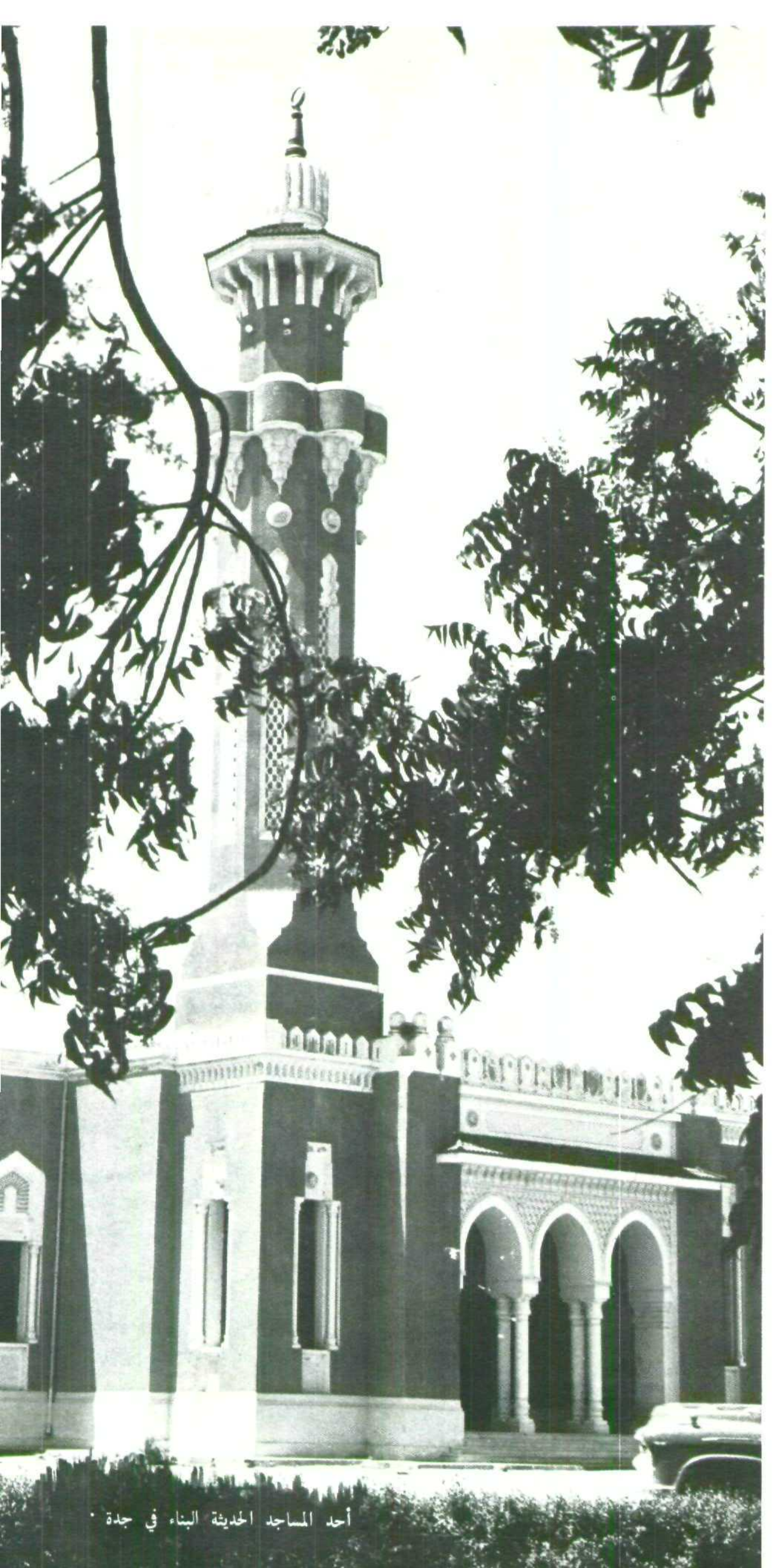
سوف ينتقل إلى موقع جديد يبعد حوالي ٢٤ كم شمالي مركز جدة على طريق المدينة المنورة ، وتقدر تكاليفه بأكثر من ألف مليون ريال وقد بوشر في انشائه في منتصف عام ١٩٧٤ .

أما ميناء جدة البحري فله تاريخ حافل طويل ، وأول ذكر ورد عنه في التاريخ الاسلامي هو عندما نقله الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه من موقعة القديم على شعب رأس الأسود إلى موقعه الحالي في عام ٦٤٧م . وتحد الميناء وتحميه جزر وشعاب مرجانية من جانبيه ، وله ثلاثة مداخل بحرية تتخلل تلك الشعاب . وأهم ما يستورد عن طريق الميناء البحري : الحبوب على اختلاف أنواعها ، والسكر ، والآلات ، والبترول ومشتقاته ، والسيارات والأقمشة ، ومواد البناء ، والبضائع العامة ، والمواد الغذائية ، والماشية . وتبلغ طاقة الميناء القصوى حوالي مليوني طن سنوياً ، ويتراوح عدد السفن التي تؤمه سنوياً بين ١٢٠٠ و ١٣٠٠ سفينة ، وعن طريقه يصل حوالي ١٥٠٠٠٠ راكب معظمهم من الحجاج . كما يتم عن طريق هذا الميناء الدائم الحركة ، استيراد حوالي ١,٥ مليون رأس من الماشية ، معظمها من موانيء شرقي أفريقيا على البحر الأحمر .

وإذا ما تجول الزائر في أسواق جدة وشوارعها فانه يدهش لكثرة الناس والسيارات والمتاجر ، خاصة إذا كان الزائر من سكان القرى أو المدن الصغيرة . وإذا ما فكر في زيارة المؤسسات والمرافق الحكومية والخاصة فانه ، ولا شك ، سيعجب من كثرتها وتنوعها ، فهي تكاد تشمل كل مجال . فالمؤسسات التعليمية كمدارس البنين والبنات ، والمرافق الصحية كالمستوصفات والعيادات والمستشفيات منتشرة في كل مكان .

ففي مجال التعليم مثلاً ، يوجد في جدة ٤٦ مدرسة ابتدائية للبنين تستوعب ٣٢ ألف طالب ، و ١٦ مدرسة اعدادية تضم بين جدرانها ٨٢٤٨ طالباً ، وست مدارس ثانوية تحتضن ٣٦٦٠ طالباً .

أما في مجال تعليم البنات فيوجد في جدة ٤٥ مدرسه ابتدائية تضم ٢٣٩٦٩ طالبة ، وتسع مدارس متوسطة تضم ٥٤٧٨ طالبة ، ومدرستان ثانويتان يتلقى العلم فيهما أكثر من ٢٠٠٠ طالبة ، وفيها كذلك معهد للمعلمات ، ثانوي ومتوسط ، يحتضن أكثر من ٣٠٠


أحد المساجد الحديثة البناء في جدة .

الجيولوجيا او الهندسة المدنية او التعدينية . وتتألف هيئة التدريس في المركز في الوقت الحاضر من خبراء دوليين من هيئة اليونسكو ومن أخصائيين من أبناء المملكة والدول العربية .

ويوجد في المركز كذلك برنامج تدريب فني يستغرق عامين يحصل بعدهما الطالب على دبلوم فني في مجال الجيولوجيا التطبيقية . ويشترط في المتقدمين للالتحاق بهذا البرنامج أن يكون لديهم الاستعداد الشخصي للممارسة العملية والمعملية . ويقبل للالتحاق به الحاصلون على الثانوية العامة ، القسم العلمي ، أو ما يعادلها مع إلمام كاف باللغة الانجليزية ، ويبدأ هذا البرنامج في شهر سبتمبر من كل عام .

وفي المجال الصحي ، يوجد في جدة مستشفيات حكومية كبيرة وعدد من المستوصفات الدائمة والموسمية . ومن أهم وأكبر المستشفيات في جدة ، المستشفى المركزي ويتسع لـ ٣١٥ سريراً ويعمل فيه نحو ٨٠ طبيباً ، ومستشفى الولادة ويستوعب ١٢٠ سريراً ويعمل فيه حوالي خمسة عشر طبيباً ، ثم مستشفى الرمد ويتسع لـ ٦٠ سريراً ويعمل فيه عشرة أطباء ، فمستشفى الملك وفيه ٥٠ سريراً ويعمل فيه ٢٤ طبيباً .

وفي جدة أيضاً سبعة مستوصفات دائمة هي : مستوصف الأمراض الصدرية ، النزلة اليمانية ، نزلة بني مالك ، الهنداوية ، الرويس الكندره ، ومستوصف طريق مكة الكيلو ١٤ . وهناك مستوصفان موسميان يقامان أثناء الحج ، أحدهما خاص بالحجاج القادمين بطريق الجو والآخر بالحجاج الوافدين بطريق البحر .

ومما تجدر الاشارة اليه أن جميع المستشفيات والمرافق الطبية مجهزة بالوسائل الحديثة والمختبرات والأشعة وبالمختصين من الأطباء والممرضين والممرضات .

وفي جدة أيضاً فرع للطب الوقائي ويشتمل على « كورنتينات » للحجاج القادمين بطريق البحر وأخرى للحجاج القادمين بطريق الجو وعلى محجر صحي . وفيها كذلك معهدان : المعهد الصحي — وهو خاص بتدريب الفنيين في المجال الصحي ، ومعهد التمريض — وهو خاص بتدريب الفتيات على أعمال التمريض وأصوله الحديثة .

وإذا ما تحولنا في حديثنا عن جدة إلى الناحية الصناعية فاننا نجد هناك مرافق كثيرة ومتنوعة يجدر الحديث عنها والاشارة اليها . فهناك مثلاً ، المؤسسات الصناعية المهمة

ينتج مصنع « بترولوب » مختلف أنواع زيوت التشحيم اللازمة لمحركات البنزين والديزل وصندوق تروس تبديل القوة .



برج محطة التلفزيون .

احدى عيادات طب الأسنان في مستشفى الملك بجدة .

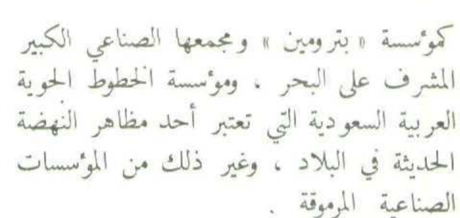


غرفة المراقبة في مصفاة جدة حيث يرى بعض الفنيين السعوديين خلال عملهم اليومي .



عدد من الطلاب يجرون بعض التجارب في علم الفيزياء





كمؤسسة « بترومين » ومجمعها الصناعي الكبير المشرف على البحر ، ومؤسسة الخطوط الجوية العربية السعودية التي تعتبر أحد مظاهر النهضة الحديثة في البلاد ، وغير ذلك من المؤسسات الصناعية المرموقة .

فمجمع مؤسسة « بترومين » في جدة ، وهو بحق دعامة في صرح الاقتصاد الوطني ، يشتمل على ثلاثة مرافق مهمة هي :

مصفاة جدة

قامت بترومين بتأسيسها عام ١٣٨٨هـ بالاشتراك مع شركة المصافي العربية السعودية بطاقة انتاجية قدرها ١٢٠٠٠ برميل في اليوم . ثم أجريت عليها توسعت لزيادة طاقتها بحيث أصبحت تنتج اليوم حوالي ٣٠٠٠٠ برميل يومياً ، كما ان هناك فكرة لتوسعتها مرة أخرى . ويعمل في مصفاة جدة حوالي ٨٠٠ موظف .

وتنتج مصفاة جدة عدة أنواع من المنتوجات البترولية مثل : غاز البترول السائل ، البنزين بنوعيه العادي والممتاز ، الكيروسين ووقود النفاثات ، وقود الديزل الأبيض ، زيت الوقود ، الاسفلت . وتوزع هذه المنتوجات في مختلف مدن وقرى المنطقة الغربية .

شركة بترومين لزيوت التشحيم (بترولوب)

أنشئت هذه الشركة عام ١٣٨٧هـ بقصد تصنيع زيوت التشحيم الأساسية ومزجها وتعبئتها في صفائح وبراميل لتغطية احتياجات البلاد المتزايدة من هذه المواد . وقد بدأت الشركة عملها في عام ١٣٩٢ بطاقة انتاجية

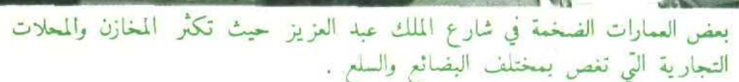


جانب من مدينة جدة وتبدو بناية « السعودية » في مقدمة الصورة .



منظر عام لمصفاة جدة التي يبلغ انتاجها حالياً حوالي ٣٠٠٠٠ برميل من منتجات الزيت يوميا .





بعض العمارات الضخمة في شارع الملك عبد العزيز حيث تكثر المخازن والمحلات التجارية التي تغص بمختلف البضائع والسلع .

جانب من بيوت جدة ذات المشربيات وتبدو في مؤخرة الصورة بعض البنايات الحدي

مقدارها ٥٠٠٠٠ برميل سنوياً ، ويتوقع أن يصل الانتاج في العام الحالي إلى حوالي ١٠٠ ٠٠٠ برميل .

ويشتمل انتاج هذا المصنع على عدة أنواع من زيوت التشحيم على اختلاف عياراتها ، ومنها زيت محركات البنزين والديزل والزيت المستعمل لصندوق تروس تبديل القوة (Gear Box) ويعبأ الزيت في علب سعة الواحدة منها ربع جالون امريكي ، وجالون انجليزي ، وفي براميل سعة الواحد منها ٥٥ جالوناً امريكياً . ويعمل في هذا المصنع حوالي ٦٠ موظفاً .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هناك مشروعاً لتوسعة هذا المصنع بحيث تصل طاقة انتاجه إلى ٤٥٠ ٠٠٠ برميل في السنة ، هذا مع العلم بأن استهلاك المملكة حالياً يقدر بحوالي ٣٥٠ ٠٠٠ برميل سنوياً .

مصنع الحديد والصلب

انشيء هذا المصنع لتلبية الطلب المتزايد على القضبان الحديدية المستعملة في البناء، وكخطوة أولى نحو إقامة صناعة متكاملة للحديد والصلب في المملكة . وقد تم بناؤه في عام ١٣٨٧هـ وصمم لتكون طاقته ٤٥ ٠٠٠ طن في السنة . وبدأ عمله بطاقة انتاجية تصل في أقصاها إلى ١٥ ألف طن سنوياً . أما اليوم فتبلغ طاقة انتاجه حوالي ٣٠ ألف طن سنوياً ، وهذه الكمية تعادل حوالي ٢٠ في المائة من استهلاك المنطقة الغربية في الوقت الحاضر .

ويشتمل انتاج هذا المرفق على تصنيع الحديد المستورد كسبائك ، حجم الواحدة منها ٨ سم×٨ سم×٦ أمتار ، وتحويلها إلى قضبان مبرومة للبناء يتراوح سمكها بين ٦ و ٢٠ مليمتراً . ويتم ذلك باعادة تسخين السبائك في فرن تبلغ حرارته بين ١٢٥٠ و ١٣٣٠ درجة مئوية . ويبلغ عدد العاملين في هذا المصنع حوالي ٢٢٠ موظفاً .

ومن المؤسسات البارزة في جدة مؤسسة «الخطوط الجوية العربية السعودية» التي تعتبر باسطولها الجوي الضخم ، سفير المملكة المتجول في مختلف العواصم والمدن الكبيرة التي تحط فيها ، لقد أصبحت هذه المؤسسة ، التي بدأت أعمالها في مايو ١٩٤٥ بطائرة واحدة تعمل في خط داخلي بين جدة والرياض والظهران ، من أكبر الخطوط الجوية العالمية وأنشطها . وصارت طائراتها تصل اليوم إلى ٥٠ مدينة كبيرة في ثلاث قارات ، وتنقل أكثر من مليون راكب سنوياً بأجر كامل . ويتوقع أن تبدأ «السعودية» باستخدام طائرات «لوكهيد ترايستار» في منتصف العام الحالي لتصبح بذلك من اولى شركات الطيران العالمية في هذا المجال .

وتمتلك «السعودية» اليوم أسطولا جوياً ضخماً فيه ١٣ طائرة من أحدث الطائرات النفاثة العالمية من طراز بوينج ٧٠٧ و ٧٢٠ ، و ٧٣٧ بالاضافة إلى عدد من طائرات كونفير وداكوتا . ويعمل فيها الآن أكثر من ٤٥٥٥ موظفاً بين إداريين وفنيين وعمال ، يمثل السعوديون أكثر من ٧٥ في المئة منهم . وحتى عام ١٩٧٤ كان عدد الطيارين العاملين لديها ١٧٠ طياراً ، منهم ١٢٠ سعودياً .

وقد خصصت «السعودية» مؤخراً أسطولاً يتألف من تسع طائرات لتأجيرها إلى رجال الأعمال والشركات والمقاولين لاستخدامها في تنقلاتهم داخل المملكة وفي بلدان الشرق الأوسط . كما أخذت «السعودية» في تطوير. استخدام الحاسبات الالكترونية من طراز أي بي . أم . — ٣٦٠/٢٠ لتواكب التقدم العلمي ورسم خططها البعيدة المدى . كما تصدر الادارة الثقافية التابعة للخطوط نشرة شهرية تعنى بنشر الموضوعات الثقافية والاجتماعية والعلمية والدينية ، وتحمل هذه النشرة اسم «الجناح الأخضر» .

وجدة ، حقاً ، مدينة صناعية تجارية نشطة ، فيها عدد كبير من المؤسسات العامة والشركات الخاصة والفردية التي تسهم إلى حد كبير في تطوير الصناعة الوطنية ودعم اقتصاد البلاد ، ومنها ما يقف في مصاف كبريات الشركات في الشرق الأوسط سواء من ناحية كمية الانتاج أو جودته .

ومن أهم هذه الصناعات التي تعتبر نواة لصناعات أكبر وأهم هي :

صناعة المواد الغذائية

وتشمل الحلويات والبسكويت والتوفي والشيكولاته والمعكرونة والشعيرية والطحينة والحلاوة الطحينية واللبن واللبنة والايسكريم والمرطبات . وقد خطت بعض المصانع خطوات كبيرة في هذا المجال حتى انها أخذت تصدر بعضاً من انتاجها إلى البلدان المجاورة .

صناعة الغزل والنسيج

من أهم ما تنتجه المصانع في هذا الشأن مناشف الحجاج والمناشف والفوط العادية والملونة .



يعمل في شركة الصناعات الحديثة (تايد) ١١٧ موظفاً وهي تنتج ١٥٠٠٠ طن متري سنوياً من مساحيق الغسيل . وقد أصبح انتاج الشركة كافياً للاستهلاك المحلي كما بدأت بالتصدير إلى بلدان الخليج العربي واليمن . وكان المصنع قد بدأ الانتاج في عام ١٩٦٤ بطاقة تبلغ حوالي ٧٠٠٠ طن متري في السنة .



جانب من الآلات والمعدات الجديدة التي جلبتها مصانع بدرة مؤخراً لانتاج مختلف أنواع البسكويت بطاقة سنوية مقدارها ١٥ الف طن .

كما أقيم مصنع قبل أربع سنوات لانتاج سجاد الصلاة والعجمي والقطيفة .

صناعة الأثاث

لقد تطورت هذه الصناعة تطوراً كبيراً في السنوات الأخيرة وذلك نظراً للنهضة العمرانية التي تعيشها المملكة في هذه الأيام . وقد أصبحت هذه الصناعة تغطي جزءاً كبيراً من حاجة البلاد . ومن الأثاث ما هو معدني ومنه ما هو خشبي وهو يشمل الأثاث الخاص بغرف النوم والطعام والمجالس وكذلك الخزانات والأدراج المدرسية والمكتبات والكراسي والسرر وغيرها ، وهناك أيضاً مصانع لانتاج الأبواب والشبابيك والسحابات الخشبية .

صناعة المنتجات المعدنية

وهي تشمل الأواني المنزلية على اختلاف أحجامها وأشكالها كالقدور وأباريق القهوة والشاي والصحون وغيرها .

صناعة المنتجات الكيماوية والبلاستيكية

تعتبر اللدائن جزءاً مهماً من هذه المنتجات ، وقد تطورت هذه الصناعة تطوراً ملحوظاً بحيث صارت تنتج كثيراً من المعدات والأدوات المنزلية والحبال والأحذية والأنابيب ذات الأحجام المتنوعة وصناديق المرطبات والأوعية على اختلاف مقاساتها ورقائق تلبيس الجدران والحقائب المدرسية والزوارق . ومن المصانع ما ينتج الوحدات السكنية المصنوعة من الزجاج الليفي — Fiber Glass ومنها ما هو خاص بانتاج مساحيق الغسيل وأدوية التنظيف ، ومنها ما يختص بانتاج غاز الاوكسجين والنتروجين والاستيلين ، وغير ذلك من المعدات والمواد . وقد صارت هذه المصانع تسد جزءاً كبيراً من حاجة البلاد إلى هذه المنتجات كما أخذت تصدر بعضاً من انتاجها إلى البلدان المجاورة .

درس في علم الأحياء والصحة العامة .

تصوير : علي عبدالله خليفة



صناعة موادّ البناء

وتشتمل هذه الصناعة على انتاج الاسمنت والنورة ، والرخام ، والمرمر ، والبلاط ، والقرميد ، والمواسير الفخارية ، والطوب الأحمر ، والطابوق وغير ذلك من المنتجات التي تسهم إلى حد كبير في مواكبة التقدم العمراني المزدهر .

صناعة المنتجات الورقية

يدخل ضمن هذه المنتجات المناديل والدفاتر المدرسية ، والأكياس والمغلفات على اختلاف أحجامها ، وورق اللف ، وعلب وصحون الكرتون وما شابه ذلك .

ومن الجدير بالذكر ان حقل الصناعات في المنطقة الغربية يتمركز في جدة حيث يوفر لها الميناء ما تحتاجه من مواد أولية مستوردة كما توفر المدينة القوى العاملة وسوقاً محلية كبيرة .

ومن المشاريع الحيوية المهمة في جدة ، معمل تحلية مياه البحر ، فهذا المرفق الحيوي يقوم بدور مهم نظراً لاتساع رقعة البناء وازدياد عدد السكان . ويتم توفير المياه لمدينة جدة من ثلاث مصادر هي وادي فاطمة ووادي خليص ومعمل التحلية الآنف الذكر . ومعمل تحلية المياه هذا يقوم بمهمتين رئيسيتين احداهما تحلية مياه البحر والأخرى توليد الطاقة الكهربائية .

وتبلغ طاقته الانتاجية خمسة ملايين جالون أمريكي من الماء يومياً ، وخمسين ميغا واط من الكهرباء . وفيه وحدتان ضخمتان تعملان بزيت الوقود الثقيل .

وبالاضافة إلى ما في جدة من مؤسسات ومصانع ومعامل ومنشآت ومرافق عامة وخاصة ، هناك أيضاً نوع من الخدمات المهمة التي تقدمها جدة وهو ما يتعلق بالهيئات الدبلوماسية الذي يشمل وزارة الخارجية والسفارات والقنصليات العربية والأجنبية ، اذ ان جدة تقوم بدور العاصمة الدبلوماسية للمملكة .

وجدة أيضاً مركز اعلامي مهم ، ففيها محطة للاذاعة وأخرى للتلفزيون ، وفيها تصدر أربع صحف يومية ومجلة أسبوعية ومجلتان شهريتان ، كما تصدر فيها صحيفة يومية باللغة الانجليزية ، وثلاث نشرات انجليزية أيضاً احداهما يومية والاخريان اسبوعيتان .

ونظراً لمركز جدة المهم ومكانتها التجارية والصناعية وقربها من مكة المكرمة فقد نشطت حركة الفنادق فيها لدرجة أن فنادقها تظل دوماً مزدحمة . . وفي جدة حالياً حوالي عشرة فنادق من الدرجة الأولى علاوة على عدد من الفنادق الأخرى على مختلف المستويات .

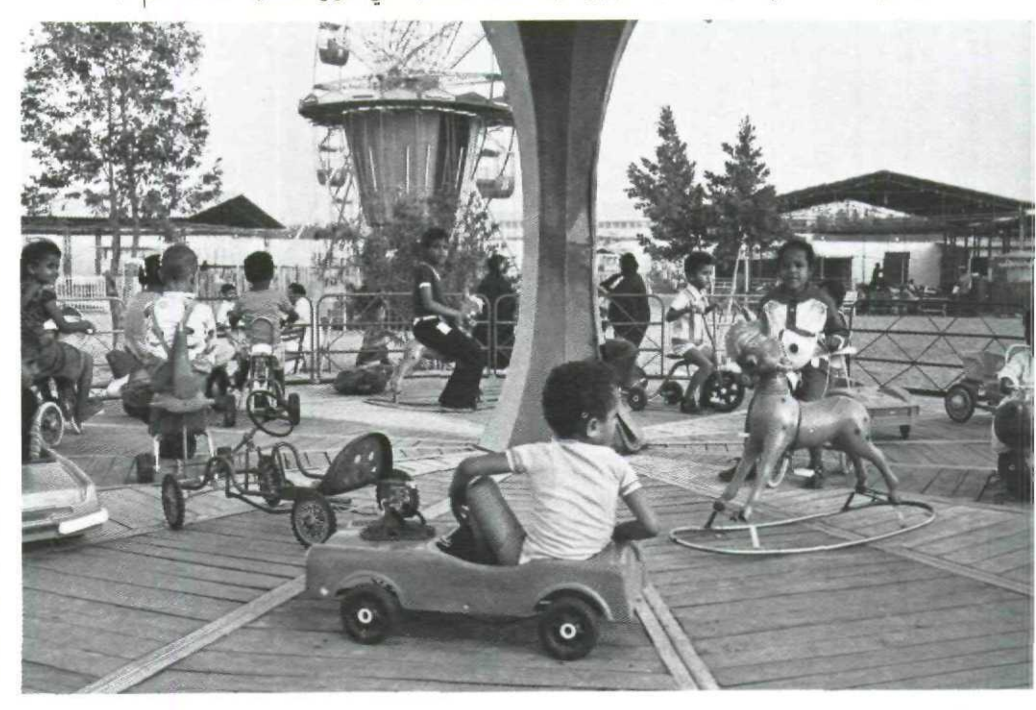
والزائر لمكتب تخطيط المدن يعجب بالحركة الدؤوب والنشاط المتواصل ، ولا غرو في ذلك ، فهم يخططون للمستقبل ولما ستكون عليه جدة خلال السنوات العشرين القادمة ، وكيف سيتم شق الشوارع والطرق وانشاء الميادين والمتنزهات وإقامة الأسواق التجارية وتوفير المرافق الضرورية للسكان الذين ينمو عددهم باستمرار وتزداد حاجاتهم ومتطلباتهم تبعاً لذلك .

وهناك فكرة لاقامة مركز حضاري — « Civic Center » على شبه البحيرة الواقعة مقابل مبنى وزارة الخارجية ، وسيشتمل ذلك المركز على مسجد وقاعات للمؤتمرات والمحاضرات ومواقف للسيارات ، ومكاتب للبريد ، ومصارف ومطاعم ومعرض للمنتجات والسلع الدولية ، ومكتبة وناد ثقافي ، ومتحف للاحياء المائية ، وغير ذلك من الأبنية والمرافق الحيوية التي تضفي طابعاً حضارياً جديداً على مدينة جدة . .

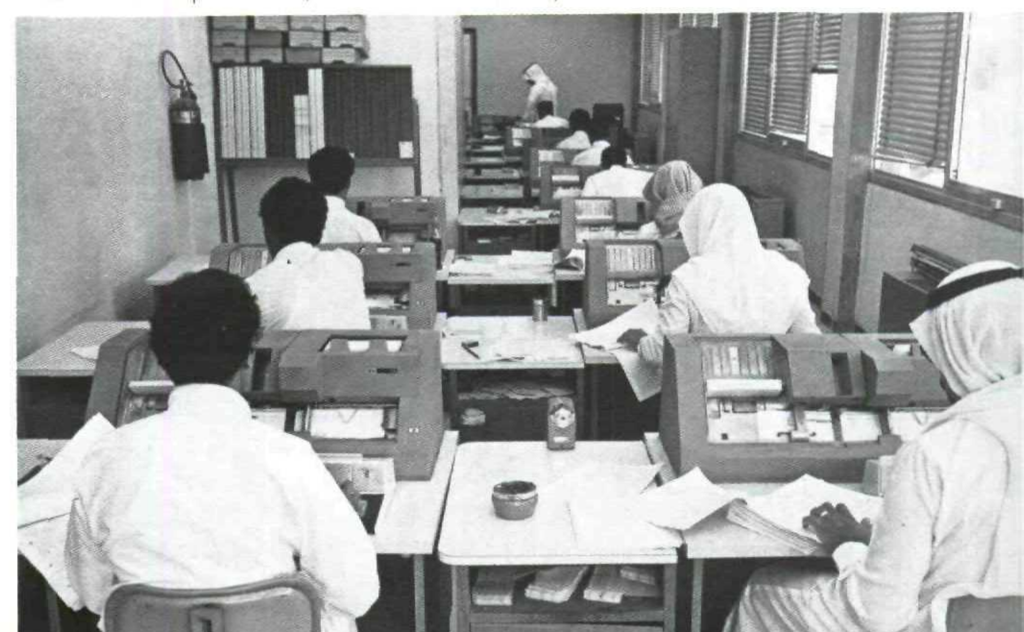
وبعد ، فهذه جولة قصيرة في مدينة جدة العامرة الكبيرة ، ذات التاريخ الحافل والمستقبل المشرق البسام ●

ابراهيم أحمد الشنطي — هيئة التحرير

ينتشر الأطفال في متنزهات جدة يلهون بمختلف الألعاب التي توفر التسلية الممتعة لهم .



أخذت الخطوط الجوية العربية السعودية باستخدام الحاسبات الالكترونية لتنظيم أعمالها ورسم أهدافها للمستقبل .



الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ‹٣›

تأليف: الدكتور بكري شيخ أمين
عرض وتعليق: الاستاذ عبد العزيز الرفاعي



« هذه هي الحلقة الثالثة من حلقات متصلة ، مخصصة للحديث عن هذا الكتاب القيم ، كانت اولاها تعريفاً بالكتاب وتنويهاً بمكانته . وكان الحديث في الحلقة الثانية عن ملاحظاتي العامة عنه . .

وفي هذه الحلقة تتمة ذكر تلك الملاحظات العامة . »

ملاحظات عامة عن الكتاب

ه من نماذج القصة التي تحدث عنها المؤلف قصة « شبح من فلسطين » من المجموعة القصصية التي تحمل هذا الاسم ، للاستاذ « سعد البواردي » ص ٤٩٣ ، قال يمتدحها : « من نماذج هذه القصص المتماسكة » « شبح من فلسطين » . . ولكنه عاد فقال في ص٤٩٥ « . . أما الذي يؤخذ على فنية القصة فأمور عدة : أولها تراخي الأحداث حتى لتكاد تصرف القارىء عن متابعة قراءتها . . فهي متراخية بل هي خالية من الأزمة والصراع . . » ثم يمضي في تحليلها . . على ان تأمل (هذا الأمر الأول) يكفي لتصوير القصة خلواً من معناها الحقيقي كقصة . . فكيف يقول قبل صفحة انها متماسكة . . واذا كانت « متماسكة » فكيف خلت من الأزمة والصراع . . وأصبحت متراخية ، تكاد تصرف القارىء عنها . . ؟

ه مع أن هذا الكتاب يعتبر سجلاً حافلاً للأدباء السعوديين . . وبذلك أصبح — كما قلت من قبل — مرجعاً شاملاً — إلا أنني لا أعرف الركيزة التي ارتكز عليها في اختيار الأديب . . أو عدم اختياره ، لكي يضمنه الكتاب أو كي يهمله . . هل هي مجرد الشهرة . . ؟ أو مجرد وجود الانتاج المنشور أي انتاج كان . . ؟ فقد لاحظت مثلاً انه لم يتحدث إطلاقاً عن الأستاذ الشاعر « محمد عبد القادر فقيه » مع انه ينشر شعره في الصحف منذ أكثر من عشرين سنة . . صحيح انه لم تصدر له حتى الآن أية مجموعة شعرية . . ولكن شأنه في ذلك شأن نده الاستاذ الشاعر « محمد سراج خراز » . . أو شأن الاستاذ « أحمد ابراهيم الغزاوي » ، فانه رغم شهرته ، وجهارة شعره ، لم ينشر أيضاً حتى الآن أية مجموعة شعرية . .

وفي نظري ان الارتكاز على الانتاج المنشور في كتاب ، لا يصح أن يسلك صاحب ذلك الانتاج في عداد الأدباء . . ما لم تتبلور له الشخصية الأدبية التي يصح أن تدخله في عداد الأدباء . . وبالتالي لا يصح تناول أي أثر منشور بالنقد أو التقويم ما دام صاحب هذا الأثر لا يتمتع بأية سمعة أدبية . . ولذلك لا أقر المؤلف على ما اورده في ص ٥١١ حينما تحدث عن قصة ضمنتها مجموعة قصصية . . لم يجد في مستواها ما يرقى بها إلى مستوى القصة . .

لو ذهبنا نقوّم كل كتاب مطبوع ، لمجرد أنه طبع ، لفتحنا طريقاً لاحبا . .

ه مع أن المؤلف ، تغلب عليه الدقة في عزو نصوصه إلى مصادره ، وهو منهج يحمد له جداً ، إلا أنه يحدث احياناً أن يهمل ذكر مصادره ، كما فعل — مثلاً — في ص ٥٢٥ حينما أورد نصاً عزاه إلى « أحد المثقفين » ولم يذكر اسم القائل ولا اسم المصدر الذي نقل عنه .

ه لعل من أهم ما يؤخذ أيضاً ، على المؤلف النتائج التي توصل اليها حينما عالج « فن المقالة » « في الأدب السعودي » ص٥٢٦ وما بعدها .

لقد قسم المقالة إلى أطوار أربعة . . ولا ضير في هذا . . فلنلق نظرة عجلى إذن على هذه الأطوار الأربعة :

ه **الطور الأول :** المدرسة الصحفية الأولى ، وتمثلها الصحف العثمانية وبعض الكتاب في نجد والحجاز . ولعله يريد بهذا الكتاب ، القدامى الذين التزموا السجع والمحسنات البديعية على طريقة النثر المصنع المنحدر من عهد الانحطاط الحضاري . . وهذا في نظري لا يعتبر طوراً . . وإنما هي المدرسة القديمة السائدة في العهد التركي .

ه **الطور الثاني :** مدرسة « القبلة » المتأثرة بفؤاد الخطيب واترابه . . وهذا عندي هو الطور الأول . . وبداية التطور الحقيقي . .

ه **الطور الثالث :** ظهور الصحف السعودية الفردية وكتابها . . وهو يقول عن هذا التطور ، انه يمثل عز المقالة وازدهارها . . وهذا صحيح . . وهو في نظري الطور الذي أخذت فية المقالة تتبلور وتتكون لها شخصية مستقلة ، متميزة ، مع تأثر بالروح العربية السائدة آنذاك ، سواء وافدة من المهجر أو من مصر ، متمثلة بفن الدكتور محمد حسين هيكل ، أو العقاد ، أو الرافعي ، أو طه حسين . . أو من أي رافد عربي مساعد . .

وقبل أن أزايل هذه النقطة ، أود أن أقول ان عبارة « الصحف الفردية » فيها تجوّز ، فان جريدة البلاد كانت في بعض أدوارها ، وهو دور من أزهى عهودها ، تصدر عن شركة لا عن فرد ، وهي الشركة العربية للطبع والنشر . .

ه **ثم ذكر المؤلف الطور الرابع ، وقال :**

* نشرت الحلقة الثانية في عدد شعبان ١٣٩٥ .

• ان المقالة ترجحت فيه بين تيارين : قديم ، وحديث . . وان التيار القديم هو استمرار للمرحلة السابقة . وان التيار الجديد يتمثل بالكتاب الناشئين .

• انه وصف التيار الحديث (بالضعف بل بالخفة والركاكة ، والتهافت) ومضى يقول عنه « ولسنا ندري المعاذير التي سوغت لهؤلاء المسئولين عن مستوى مؤسستهم الصحفية بالسماح لهذه الاقلام اللينة بالظهور ، ولهذه الكتابات السقيمة بالانتشار . »

• انه عاد فالتمس العذر لهم قائلاً : « على انه يخيل الينا ان العذر الأكبر لأصحاب المؤسسات وللمشرفين عليها ، رغبتهم في تدريب جيل جديد على هذا الفن الأدبي الرفيع . . أو ليس ذلك سنة الحياة وقانون الوجود ، ومنطق الأمور ؟ ان الأديب الكبير لم يولد كبيراً . . إلى آخر العبارات الحماسية التي دافع بها عن وجهة النظر هذه . .

• انه ذهب إلى القول أن صحف الأفراد كانت تزدحم بكتابات الكبار (حتى لم يعد فيها مجال كبير لهذه البراعم الوليدة) .

• انه قال ان (هؤلاء الكبار) ، آثروا أن يصدروا انتاجهم في كتب خاصة مستقلة (فذلك في رأيهم ، أدعى إلى البقاء وأقرب إلى الربح) .

• انه رتب المقالات في هذا الطور ، بالترتيب التالي : المقالة الدينية في رأس القائمة ، فالمقالة الأدبية ، فالنقدية ، فالاجتماعية ، فالسياسية فالاقتصادية . .

• انه عاد فقال بعد ذلك مباشرة ، وهو يتحدث عن المقالة من حيث هي : (هذه المقالة التي تشعبت فروعها بتشعب موضوعاتها لم تكن أساليبها متشعبة كذلك (؟) ذلك لأن المحتوى بضاعة **سعودية املتها الحياة ، ومستلزمات المجتمع ،** فافترقت الموضوعات نظراً لكثرة الوجوه التي ينبغي أن تمتد اليها يد الاصلاح من جهة أولى ، ونظراً **لكثرة القضايا العربية** التي **احوجت** القلم أن يحبك لها مقالة من جهة أخرى ، لم تكن متشعبة . . »

• لماذا لم تكن متشعبة . . يقول الأستاذ المؤلف في الجواب على هذا التساؤل المفترض : (لأنها مستوردة من جهتين : مصرية ، ومهجرية . .) .

• ثم يقرر المؤلف بعد ذلك مباشرة هذه النتيجة الخطيرة : « فالسعوديون الذين لم يلحقوا بقافلة الأدب لم تتهيأ لهم القدرة كي ينهضوا بالمقالة الفنية إلى مستوى النضج الذي لاقته المقالة العربية في الأقطار الأخرى . . » .

والآن . . فلاستعرض هذه النقاط ، ولأقف عندها واحدة فواحدة . .

• لعل المقصود من عبارة (ترجحت المقالة بين تيارين : قديم ، وحديث) هو (تأرجحت) . .

ومن حق الاستاذ المؤلف أن يقسم المقالة بين هذين التيارين ، ولكن ما أود أن أعقب به ، هو أن التيار الجديد ، ليس وقفاً على الكتاب الناشئين . . كما ان التيار القديم ، لم يلتزمه الكتاب القدامى فقط . . وهذا الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل ، يلتزم الوضوح ، والأسلوب العربي الناصع . . وهو من الكتاب الشباب . . إن مسألة القديم والجديد في الأدب مسألة تتعلق بالأدب نفسه لا بالأجيال الأدبية .

• انه وصف الأقلام الناشئة بالضعف والركاكة والتهافت . . ولا مشاحة من انه يوجد بين هذه الأقلام حقاً من تنطبق عليه هذه الأوصاف ، ولكن لا يجب أن تشمل هذه الأوصاف الأقلام الناشئة جميعها . . فبين هذه الأقلام من تميز بالاصالة ، فاستقامت على النهج ، واتسمت بالتماسك ، وابتعدت عن الركاكة والتهافت . . ليت المؤلف احترز في عبارته ببعض التحفظ . . كأن قال (بعض أصحابها) . . ولكنت معه . .

• ويقول المؤلف ان صحف الأفراد كانت تزدحم بالكبار ، بحيث لم يعد هناك مجال (كبير) للبراعم الوليدة . .

وأود أن أقول ، ان صحف الأفراد كانت تفسح صدرها لكتابات الناشئة . . وكانت تخصص لهم صفحات خاصة ، وترحب بالجيد من انتاجهم ، وأذكر أن الأستاذ عبد الرزاق بليلة ، وهو أحد الأدباء الذين آثروا أن يبقوا في الظل ، كان يشرف على مثل هذه الصفحات في جريدة « البلاد السعودية » ، وأن هناك أقلاماً ناشئة كثيرة مرنت في هذه الصفحات ، وغدت أقلاماً ناضجة كبيرة .

ولـو أن صحف الأفراد لم تفسح صدرها لمثل هذه الأقلام لما برزت أقلام شابة قوية من الجيل الثاني أو الثالث وما بعدهما مثل الأساتذة أحمد محمد جمال ، محمد سراج خراز ، محمد عبـد القادر فقيه ، عبدالله عبد الرحمن جفري . . الخ .

• وقال ان الكبار آثروا أن يصدروا انتاجهم في كتب خاصة مستقلة لأن ذلك في رأيهم أدعى إلى البقاء ، وأقرب إلى الربح

وتعليقي على هذا القول ، يأتي من وجهين :

• ليس كل الكبار ، الذين جمعوا مقالاتهم الصحفية . . بل ان ذلك بينهم قليل . . فهذا الاستاذ محمد حسن فقي لم يجمع مقالاته الكثيرة ، وهذا الأستاذ عزيز ضياء ، وهو خصب المقال ، لم يجمع ما كتب ، وهؤلاء . . الآشي ، ورجب ، والشبكشي وعلي عثمان حافظ ، وابن خميس ، والعريف ، وياسين طه ، والقنديل ، والغزاوي . . . وغيرهم كثيرون . فلست بسبيل الاحصاء وإنما اقامة الدليل . .

ولا يجدر بنا أن ننسى أن السياق هنا سياق الحديث عن المقالة وحدها . .

• أما ان يكون جمع المقالات من بعض جامعيها ، لأن ذلك أدعى إلى البقاء فنعم . . ومن هذا البقاء أن الاستاذ نفسه كان أكثر اعتماداً على هذه المجاميع لأن متابعة كل ما كتبه الكتاب السعوديون في الصحف والمجلات ، أمر لا تبلغه طاقة بشر ، ممن تتوازعه شواغل الحياة التي تشغل الناس . .

وإما أن يكونوا فعلوا ذلك بقصد الربح . . أو لأن ذلك أقرب للربح فمسألة فيها نظر . . وأحسب ان الشاهد على ذلك قريب . . فلو كانت أمثال تلك المجاميع مربحة لما توانى الكتاب عن طبع انتاجهم ، أو على الأقل لتشجّع الذين غامروا وفعلوا ذلك لمرة أو لمرتين ليكرروا الطبع . .

وليس هذا الكلام نفياً لفكرة الربح . . ولكنه نفي لأن تلك الفكرة وراء جمع بعض الكتاب لمقالاتهم من أولئك الكبار الذين يعنيهم المؤلف . . لقد نظر معظمهم إلى الفائدة المعنوية . . قبل كل شيء .

• ونأتي الآن إلى ترتيب المقالة من حيث موضوعها . فقد جعل المقالة الدينية في رأس القائمة ، فالمقامة الأدبية ، فالنقدية ، . . وهكذا بقاء الترتيب ، وهنا يظهر جلياً ، أن اعتماد المؤلف كان في الدرجة الأولى على المجاميع التي ظهرت لنفر من الكتاب . . فقد كانت أكثر هذه المجاميع تدور حول مواضيع دينية ، أو أنها ذات مواضيع اجتماعية ونقدية ، تنبثق عن الحافز الديني . . ولا شك أن الوعظ والارشاد ، يأخذ مكاناً مرموقاً جداً في المجتمع السعودي ، وهناك كتاب تنضح كتاباتهم بالغيرة الدينية من أمثال الشيخ عبدالله خياط ، والشيخ زيد بن فياض ، والأستاذ أحمد محمد جمال ، والأستاذ محمد أحمد باشميل . .

ولكننا اذا أخذنا نرتب المقالة السعودية من حيث موضوعاتها أو بتعبير أدق من حيث الكثرة أو القلة ، نجد ان المقالة الاجتماعية هي التي ترد الأولى في الترتيب وإن كانت في ترتيب الأستاذ تأتي الرابعة .. وربما جاءت المقالة الأدبية تالية .. مهما يكن الأمر فان عملية الترتيب عملية واسعة جداً تحتاج إلى كثير من الدقة .. وانني حينما أجعل المقالة الاجتماعية في الدرجة الأولى ، لا أزعم لنفسي الاحصاء ، وإنما أصدر هذا الحكم ، عن متابعة ومعاصرة .. ولأنني عملت بعض الوقت في الحقل الصحفي .. فكانت المقالة الاجتماعية أكثر تداولاً بين أقلام الكتاب ... وكانت حاجة المجتمع ، ولا تزال إلى مثل هذه المقالة ، حاجة شديدة .

• وكأن الاستاذ المؤلف كان يعني المقالة الاجتماعية حينما مضى يقول ان المقالة التي تشعبت موضوعاتها لم تكن أساليبها متشعبة كذلك .. وهو هنا في هذه العبارة انما يتحدث عن المقالة من حيث هي ، ولكن مهلاً .. فلننظر تفسيره لها : « ذلك لأن المحتوى بضاعة سعودية أملتها الحياة ومستلزمات المجتمع ، فافترقت الموضوعات نظراً لكثرة الوجوه التي ينبغي أن تمتد اليها يد الاصلاح من جهة أولى ، ونظراً لكثرة القضايا العربية التي أحوجت القلم أن يحبك لها مقالة من جهة أخرى لم تكن متشعبة لأنها مستوردة من جهتين : مصرية ، ومهجرية ..

لقد وقفت أمام هذا التفسير حائراً . أأتهم فهمي..؟ أو أتهم العبارة بالغموض ..؟ أو بالتردد ..؟ أفضل أن أتهم فهمي ..

معقول أن تتشعب المقالة بتشعب موضوعاتها . وهو أمر بديهي حقاً .. ولكن لم لا تتشعب أساليبها .. ما دام لكل كاتب أسلوبه .. ولكل نوع من المقال طريقة تناوله ..؟ اذ لا يصح مثلاً أن يتحدث كاتب في موضوع ديني جاد .. فيتخذ أسلوباً مرحاً أو لاهياً .. تماما كما لا يصح مثل هذا الموقف في كلمة رثاء .. بمعنى آخر ان الاسلوب يختلف باختلاف الكتاب ، وباختلاف المواضيع ..

ثم يحدثنا المؤلف ان الموضوعات تشعبت لكثرة الوجوه التي ينبغي أن تمتد اليها يد الاصلاح ...

إذا كان الكلام عن المقالة من حيث هي بجميع فروعها ، فما دخل يد الاصلاح هنا ..؟ ان هناك مقالات ترفيهية ، أو هجائية ، أو ساخرة أو فكاهية .. فما دخل يد الاصلاح ..؟

الا ان يريد الاستاذ بعبارته المقالة الاجتماعية .. فان هذا الوصف ينطبق عليها .. ويتسق مع ذلك عبارة « مُستلزمات المجتمع » ..

لقد دارت في الأدب السعودي معارك كلامية عن الدافعية والعقادية والطحسينية .. فما دور « مستلزمات المجتمع » هنا ..؟ وما دور (يد الاصلاح) ؟

ثم لقد انتقل بنا الأستاذ المؤلف ، بعد عبارته تلك إلى القضايا العربية .. في هذه الحالة نقرر ان الاقلام السعودية ، لم تكن تعيش لنفسها فقط ولا لمستلزمات مجتمعها ، بل كانت تعيش أيضاً في مشاعر الأمة العربية كلها .. وتحس باحاسيسها .

إذن فالأستاذ يقول ان الأقلام السعودية، عاشت لمجتمعها ، وللأمة العربية ، وهو قول حق ، ولكن بقي ان نلائم بينه وبين قوله (ان المحتوى بضاعة سعودية املتها الحياة ومستلزمات المجتمع) .. يخيل إليّ أن هذه العبارة في حاجة إلى شيء من التعديل .

• والأساليب عند المؤلف لم تتشعب لأنها « مستوردة » من جهتين : مصرية ومهجرية ..

إذن فالأستاذ يريد أن يقول إن اساليب السعوديين حتى في الطور الخامس للمقالة ، وهو الطور الذي وردت هذه العبارة في سياقه ، لا تعدو أسلوبين مستوردين هما : الأسلوب المصري ، والأسلوب المهجري ..

ولو لم يكن الحديث عن المقالة في طورها الأخير ، طور النضج ، وبروز الشخصية المتميزة .. لوافقت على ما ذهب اليه المؤلف .. فقد تأثر الأدب السعودي من حيث هو بالأدب المصري ، وبالأدب المهجري ، وكان هناك دور تقليدهما الذي مرّ بالأدب السعودي في بعض مراحله ، مضافاً إلى ذلك تأثره بالأدب الشامي ، جاء عن طريق فؤاد الخطيب .. وغيره .

ولكن هذه المرحلة اختفت ، من أقلام الرعيل الأول ، واستقامت لهم أساليبهم الخاصة .. وتميزت المقالة السعودية بشخصية خاصة يدركها الباحث المدقق .. وإن كانت لا تبعد عن المقالة في البلاد العربية .

ولمن شاء أن يرجع إلى مقالات الأستاذ عزيز ضياء ، أو الأستاذ الجاسر ، أو الأستاذ العطار .. أو لمن شاء من أصحاب الأقلام المشهورة .. وهي ولله الحمد كثيرة ..

• بقيت — بعد هذا كله — الطعنة النجلاء الماضية التي وجهها المؤلف إلى الأدب السعودي كله وإلى أدب المقالة بصفة خاصة .. حينما قرر في غير ما تردد أن السعوديين لم يلحقوا بقافلة الأدب ، ولذلك « لم تتهيأ لهم القدرة كي ينهضوا بالمقالة الفنية إلى مستوى النضج الذي لاقته المقالة العربية في الأقطار الأخرى .. »

ولقد طرح المؤلف أمامنا ، في كلمات قلائل ، قضيتين خطيرتين :

الأولى — ان الادب السعودي لم يلحق — حتى الآن — بقافلة الأدب ..

والثانية — ان المقالة الفنية في الأدب السعودي لم تنضج حتى الآن ، ولم تصل إلى مستوى أختها في الأقطار الأخرى ..

وعليّ أن أناقش المؤلف في هذين الرأيين الخطيرين معاً :

١ — من الانصاف لنا — معشر السعوديين — وللمؤلف أن نسلم بأنه منذ سنوات ، لم تتهيأ الفرص للأدب السعودي بكل قدراته ، أن يطل على العالم العربي . أما الآن فان هذا الحكم يجب أن يتغير .. بعد أن شق هذا الأدب طريقه إلى مجالات الأدب العربي .. وأخذ يستكمل أداته لاحتلال محله الصحيح في هذا الأدب .. ان عدداً من مشاهير الشعراء السعوديين أصبح معروفاً في العالم العربي كما أن هناك بعض كتابه وباحثيه يتمتع بشهرة واسعة في الأوساط العلمية والثقافية كالاستاذ الجاسر الذي تعرفه محافل المجامع اللغوية والبحوث ..

وأخذ أدب البحث يتبلور ، واشترك فيه عدد من أساتذة الجامعات من السعوديين ..

والقصة الطويلة لها كتابها ، وكذلك القصة القصيرة .. والمسرحية النثرية والشعرية لها أيضاً روادها .. وان كانت القصة بكل ألوانها ، لم تستطع بعد أن تتمتع بالمكانة التي وصل اليها القصاصون ؟ في مصر أو العراق أو الشام .. ولكن هذا لا يعني أن يحكم على الأدب السعودي كله بالتخلف .. أو انه لم يلحق بقافلة الأدب .

٢ — أما المقالة : فعلى العكس تماماً مما ذهب اليه المؤلف ، فانها اللون النثري الوحيد الذي أصبح أكثر نضجاً من غيره لدى الأدباء السعوديين فقد راضوها طويلاً .. ومارسوها كثيراً ، حتى لانت لهم ، واستقامت .. وأصبحت لا تقل بحال عن المقالة في أي بلد عربي .. بل هي تتفوق أحياناً بمتانة لغتها ، وصحة ألفاظها ، وسلامة أسلوبها من التعقيد ..

وعلينا أن نلقي نظرة على العالم العربي الآن ، لا ترجع به إلى ماضيه .. فقد اختفى

من ميدان المقالة المتفوقة كل من طه حسين والرافعي والعقاد والمازني ، وجبران ، ومارون عبود ، ولم يكد يبقى في ميدانها أحد إلا توفيق الحكيم تقريباً . .

هؤلاء هم أصحاب الأساليب المتميزة قد ذهبوا أو كادوا . . فهل يصح بعد هذا أن ان نقول أن المقالة السعودية لم تصل إلى مستوى النضج الذي لاقته المقالة في الأقطار الأخرى . . ترى ما هو هذا المستوى الذي يفترضه المؤلف الفاضل ؟

اما إذا لم يصل الأدب السعودي ، حتى في فرع المقالة ، إلى مستوى النضج فماذا بقي له ليكون أدباً . . ؟ !

* ومن الأخطاء التقريرية التي يصعب التجاوز عنها ما حكم به المؤلف على المقالة النقدية . . فقد قال عنها (ص٥٣٦) :

« أما المقالة النقدية . . فلم تكن بدعاً بين مثيلاتها ، بل لم تكن فنون التعبير الأخرى لتختلف عن المقالة النقدية وغيرها لا شكلاً ولا مضموناً . . اذ الكاتب واحد ، بل هو الشاعر والناثر ، فكيف اذاً كان كاتب مقالة أدبية أو قصيدة شعرية ، ثم كتب مقالة نقدية ؟ أيكون هناك فرق بين المقالتين ؟ أليس الأسلوب واحداً في كليهما ، والمضمون من مستوى فكري واحد ، وإن اختلفت جهتا الكلام ؟ لا غرو . . إن المعلومات التي تتوزع فُنون القول صادرة عن ثقافة محدودة . وما أثرنا هذه الأسئلة إلا لنصل إلى الحديث عن الثقافة المحدودة التي ألمحنا اليها والتي هي المصدر الوحيد لعدد من الكتاب السعوديين ، وإذا وضعنا في الاعتبار ضيق الأفق ، وضعف الثقافة ، لم نستغرب شذوذ المقالة النقدية وانحرافها عن جادة الصواب إلى المهاترة التي تهدم ولا تبني ، أو تصدع ولا ترأب الصدع . ولعل هذا هو مشكلة المقالة النقدية : إنجراف إلى الهجاء المؤذي بالقدح والتشهير . . »

هذا ما قاله المؤلف الدكتور بكري عن المقالة النقدية . . ويبدو ان سلسلة الأحكام التي انساق اليها إنما صدرت عن بعض التصورات الخاطئة لا عن المقالة النقدية فحسب ، بل عن المقالة السعودية من حيث هي . . فهو يحمل في نفسه سأماً ويأساً من هذه المقالة . . صرح به قبل هذه الفقرة مباشرة ، حينما قال في سياق حديثه عن المقالة السعودية .

« هذه هي المقالة الأدبية بادعاءات كتابها ، وضجيج الفاظها ، ولعلنا حملنا في أنفسنا سأماً لهذا الضجيج وتلك الادعاءات التي لم تثمر ولم ينجل غبارها عن شيء . ولقد حاولنا أن نستمر في قراءة المقالات هذه فلم نجد فيها شيئاً يبل الكبود ، ويجلو صدأ القلوب . . إلا بعض المقالات القليلة . . »

إذن فالاستاذ المؤلف قد أصيب « بالقرف » من المقالة السعودية من حيث هي . . هذه المقالة التي اعدها أنا ، ويعدها معي المنصفون — أكثر ألوان الأدب السعودي نضجاً . . حتى هذه يريد المؤلف أن يقوضها بجرة قلم . . لماذا ؟ لأنه قرأ مقالات فيها ادعاء . . وفيها ضجيج ألفاظ . . فأصيب بالسأم . . أو صدم نفسياً . . ثم (حاول) أن يستمر في قراءة (هذه المقالات) فلم يستطع لأنه لم يجد شيئاً يبل الكبود ، ويجلو (صدأ القلوب) . . .

وكنت أربأ بالاستاذ الفاضل ، أن يسرع إلى مثل هذا الحكم القاسي الذي أصدره على نوع من ألوان الأدب نعتز به ، ونضعه في المقدمة من الأدب النثري . . ! كنت أرجو أن يكون له صبر الحليم ، فلا يتعجل الحكم ، ولا يبتسر المقدمات ليخطيء في النتائج . . ألم أقل من قبل أن المؤلف إكتفى بالاطلاع على بعض مجاميع المقالات ، فتصور ما تصور عن أنواع المقالة وترتيبها ، وتصور ما تصور عن قيمة المقـــالة نفسها ، فحكم بما حكم عفا الله عنه . . وإلا فهناك من كتاب المقالة السعودية من لا يدعي ، ومن لا تضج ألفاظه . . ومن يحترم عقله وقلمه . .

مَهْمَا يكن الأمر ، فقد أسلفت شيئاً من الدفاع عن المقالة السعودية ، وانما أسوق هذه الأسطر الآن مقدمة للحديث عن المقالة النقدية ، ومدخلاً إلى نقده لها . . ذلك لأن هذه المقالة فرع من تلك . .

يأخذ المؤلف على المقالة النقدية . . انه ليس في الأدب السعودي ناقد متخصص . . وان كاتب مقالة النقد هو نفسه الشاعر والناثر . .

ويبدو أنه نسي هنا أنه قلما يوجد في العالم العربي كله ناقد متخصص . . وهذه مصر ، التي نضعها في مكان الصدارة ، نشأت فيها مدرسة الديوان النقدية ، أو التي أطلق عليها هذا الاسم سواء أكان خطأ أو صواباً . أليس العقاد شاعراً وناثراً في نفس الوقت ؟ وكذلك المازني . . ومع أن الدكتور مندور قد خصص جانباً مما كتب في النقد ، فانه لم يقصر انتاجه على النقد فقط . .

إذن فكاتب المقالة النقدية في الأدب السعودي ، لا يختلف عن مثيله في الأدب العربي من حيث عدم تخصصه . .

ويأخذ المؤلف على الناقد السعودي ثقافته المحدودة . .

وهذا الكلام إن صح إطلاقه على بعض الذين يخوضون في النقد ، فهو لا يصح على بعضهم الآخر . . بمعنى انه لا ينبغي أن نرسل مثل هذا الحكم على اطلاقه دونما استثناء أو تحديد . .

على سبيل المثال أذكر ، ان من النقاد السعوديين — وهم قلة حقاً — الاستاذ عزيز ضياء . . وهو كاتب واسع الاطلاع على الثقافة الانجليزية والهندية عدا العربية فهل يصح أن نغفل مثله عندما نصدر حكماً على النقد السعودي ، أو مستوى ثقافة الناقـــد السعودي . . ؟ !

أما ظاهرة انحراف النقد في الأدب السعودي والميل إلى المهاترة ، وعدم التزام الجانب الموضوعي في النقاش ، فهي ظاهرة مؤسفة حقاً ، أشارك المؤلف الأسى من أجلها . . ولكنها أيضاً ليست مقصورة على الأدب السعودي وحده . . بل هي شائعة في العالم العربي . . منذ معارك العقاد ، والرافعي ، وطه حسين ، وزكي مبارك ، وأحمد أمين . .

على انه يجدر بنا ان لا ننسى في غمارها ، انه قد وجد في ضجيجها نقد موضوعي هادف وهذا لا ينبغي أن يضيع في زحمة النقد الأهوج ولا ينبغي أن ننساه . . بل من واجبنا أن نذكره بكلمة إنصاف . . وإذا نحن نظرنا إلى الجانب المظلم ، فلا يصح أن نغفل الجانب المشرق . . ما دام لهذا الجانب وجود . . مهما يكن نصيبه من الظهور . . فالمهم انه وجد . .

وحسناً فعل المؤلف عندما أدرك هذه الحقيقة ، فقرر أن الحكم الذي أصدره من قبل ، (لا يعني أن سائر الأدباء انجروا إلى المهاترة والتخاصم ، فقد نجا من ذلك عدد من الكاتبين ، كان منهم « محمد سعيد العامودي في كتابه « من تاريخنا » ص٥٤٠ .

إذن . . ألا يرى المؤلف الفاضل ، أن « صيغة » حكمه على النقد السعودي كانت تحتاج إلى إعادة نظر . ليكون معتدلاً ، بعد إدراكه لهذه الحقيقة الأخيرة ! لقد كان في ص ٥٦٩ وما بعدها منصفاً ينظر إلى الأمور نظرة موضوعية فاحصة . . ●

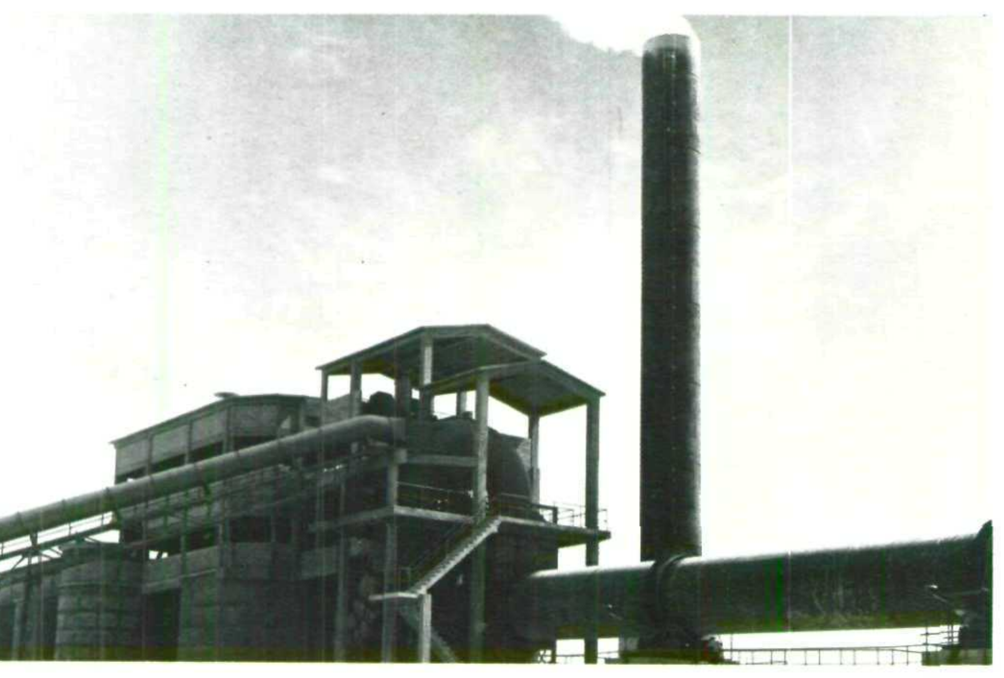
عبد العزيز الرفاعي — الرياض

الاسمنت

إنّ الاستعمالات العديدة للاسمنت والحجر الجيري قد ساعدت ولا شك على تحقيق انجازات مهمة للمهندسين والكيميائيين منذ العصور الأولى للحضارة ، وفي أيامنا هذه نرى استعمالات الاسمنت والخرسانة المسلحة تسهم في معظم المشاريع الحضارية الممثلة في بناء البيوت والأسوار والأنفاق وقنوات الصرف والري والسدود والطرق وغير ذلك من أوجه الاستعمالات المتعددة التي تعكس بحق أهمية هذه المادة الحيوية وما تتميز به من خصائص بارزة قلما تتوافر في مادة غيرها . . ولعل من أبرز هذه الخصائص ملاءمتها لجميع الظروف ومتانتها وقوة احتمالها ، ورخصها بمقارنتها بغيرها من المواد .

لقد اكتشف الانسان منذ القدم بعض الصخور الطبيعية التي تعطي بعد عملية « التكليس Calcination » مادة قابلة للتصلب وذلك بعد اضافة الماء اليها ، ولكن التقدم الحقيقي في صناعة الاسمنت لم يتم إلاّ بعد أن وضعت الأسس العصرية الحديثة لمصانع الاسمنت المبنية على الدراسات الهندسية والكيميائية والطبيعية التي تتحكم في اختلاف أنواع الخامات وفي مواصفات الانتاج .

لقد استعمل الانسان الاسمنت منذ العصور القديمة ، فقد استعمل اليونانيون القدماء والرومان مادة بركانية ممزوجة مع الحجر الجيري كمادة اسمنتية في بناء معابدهم وهياكلهم التي لا يزال بعضها قائماً ليومنا هذا . وفي عام ١٨٢٤ ميلادي أقدم العالم الانجليزي « جوزيف اسبدين — Joseph Aspdin » على تسجيل اكتشافه للحصول على الاسمنت الصناعي وذلك عن طريق تكليس « الحجر الجيري الصلصالي — Argillaceous » وقد سمّي هذا الناتج بالاسمنت البورتلاندي — Portland Cement » لأن الخرسانة التي كانت تنتج عن استعماله تشبه حجر البناء الشهير الذي كانوا يحصلون عليه في تلك الأيام من جزيرة



أدى ازدهار الحركة العمرانية في المملكة العربية السعودية إلى اقامة عدة مصانع لانتاج الاسمنت من بينها هذا المصنع المقام في الهفوف .

« بورتلاند — Portland » القريبة من انجلترا وهكذا كانت بداية صناعة الاسمنت البورتلاندي كما نعرفه في أيامنا هذه ، حيث يتم الحصول أساساً على هذا النوع من الاسمنت بحرق خليط من الحجر الجيري والطين الخزفي (الصلصال) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان استعمالات خرسانة الاسمنت كانت قليلة نسبياً قبل حلول القرن التاسع عشر لأن عملية صناعة الاسمنت البورتلاندي كانت باهظة التكاليف . ولكن بعد أن توصّل الانسان إلى اختراع الآلات والمكائن التي تقلل من الاعتماد على العنصر البشري في تلك الصناعة ، أصبحت تكاليف انتاج الاسمنت معقولة . فازدهرت بذلك الحركة العمرانية في مختلف انحاء العالم وازدادت المشاريع الانشائية الممثلة في بناء المساكن واقامة الجسور والسدود والأنفاق وإنشاء الطرق وغيرها .

صناعة الإسمنت

ان مادة الاسمنت جاءت خلاصة عملية مزج المواد الجيرية والطينية وتكليسها . . غير أن هناك مواد أخرى كالجبس وخام الحديد يمكن اضافتها إلى هذا المزيج ولكن بنسب ضئيلة . وتخلط المواد الأولية بالنسب المطلوبة وعلى نحو من النعومة أو الخشونة بحيث تسمح بحدوث التغيرات الكيميائية عند وضع هذه المواد في الأفران على درجات حرارة عالية من أجل عملية التكليس وذلك بتحليل المواد ثنائياً — Double Decomposition » وهناك تفاعلات أخرى تحدث في هذا المجال مثل عملية « ازالة الماء — Dehydration» من الطين وعملية « التكليس — Calcination » للحجر الجيري .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا هو أن معظم هذه التفاعلات تتم في حالة الصلابة ، ولكن عملية انصهار المواد تحدث عادة في المرحلة النهائية ،

واهميّته لصناعة الزيت

بقلم : المهندس فتحي احمد يحيى



يحرص القائمون على عملية دفع الاسمنت إلى آبار الزيت على مراقبة ضغط الاسمنت لدى ضخه كما يبدو في الصورة .

وقد ذكر بعض الباحثين انه لا يمكن الحصول على كميات معقولة من المادة الرئيسية للاسمنت وهي « ترايكالسيوم سيليكات — Tricalcium Silicate $3CaO. SiO_2$ » الا بعد ان يتم صهر المواد الصلبة في الأفران على حرارة مقدارها ١٢٥٠ درجة مئوية .

هناك طريقتان رئيسيتان لصناعة الاسمنت هما : الطريقة الرطبة والطريقة الجافة ، وفي كلتا الطريقتين تستخدم الطواحين التي تسمح بمرور المواد الناعمة حالما يتم طحن المواد الأولية طحناً جيداً وذلك للحصول على المواصفات المطلوبة .

ففي « الطريقة الرطبة — Wet Process » يتم « تكسير — Crushing » المواد الصلبة وهي جافة ، ثم طحنها في طواحين رطبة اسطوانية الشكل أو كروية ، حيث يمر هذا « المزيج الرطب المبلل — Slurry » خلال مناخل أو شباك خاصة ، ومن ثم يدفع هذا الخليط إلى أحواض ذات أذرع متحركة ليتم بواسطتها الحصول على خليط متجانس ، وفي هذه المرحلة ، تتم عملية التحسين النهائية للتركيب الكيميائي وذلك للحصول على الخصائص والمواصفات المطلوبة ، وبعد ذلك يدفع الخليط إلى « أتون — Kiln » ومنه إلى التعبئة والتخزين والشحن .

أما في « الطريقة الجافة — Dry Process » فتكسّر المواد الأولية تكسيراً هشاً عبر طواحين « دوارة — Gyratory » وأخرى ذات مطارق ، ثم تجفف هذه المواد تمهيداً لطحنها في طواحين اسطوانية لتصبح ناعمة ، ثم يتم خلط المواد جيداً بواسطة الهواء وذلك قبل دخولها إلى الفرن . وبعد خلطها ، تلقّم هذه المادة الجافة الناعمة إلى الأفران الاسطوانية الدوّارة حيث تتم التفاعلات الكيميائية المختلفة . ومن الممكن الحصول على الحرارة اللازمة لهذه الأفران باستخدام الغاز أو الزيت أو الديزل أو الفحم وغيرها ، ويصل طول هذا النوع من الأفران إلى حوالي ٥٠ متراً ، ويتراوح قطره الداخلي بين ثلاثة وستة أمتار . وتدور هذه الأفران الاسطوانية الطويلة بمعدل ٢ $\frac{1}{2}$ دورة في الدقيقة الواحدة حسب حجمها ، وتكون عادة مائلة قليلاً ، وتصل الحرارة في داخلها إلى ٩٨٠ درجة مئوية تقريباً . وتكون هذه المواد بعد خروجها من الأفران ، على شكل كرات صغيرة وكبيرة تمر خلال « مبرّدات — Coolers » ثم ترسل إلى صوامع أو مخازن قبل طحنها استعداداً لبيعها وشحنها . ولكي يصبح الاسمنت أكثر تماسكاً لدى استعماله في الأعمال الانشائية يضاف إلى مواده الرئيسية مادة « الجبس — Gypsum $CaSO_4 . 2H_2O$ » وذلك خلال طحنها وبعد ذلك ، يعبّأ الاسمنت في أكياس خاصة لبيعه في الأسواق . هذا وتؤخذ عادة عينات من هذا الاسمنت لفحصه في المختبر التابع للمصنع للتأكد من مطابقة خواصه للمواصفات الموضوعة من قبل معهد البترول الأمريكي API أو غيره من المعاهد والمؤسسات المختصة .

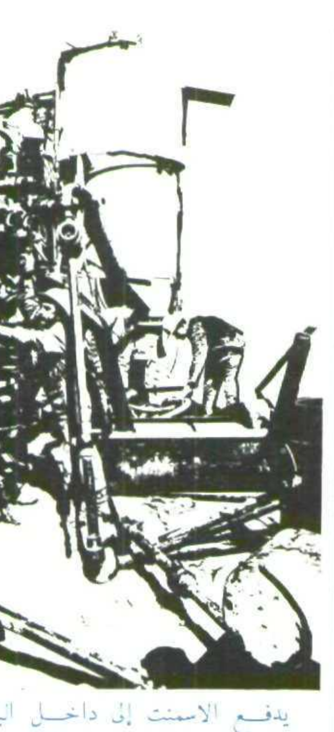
التركيب الكيميائي للاسمنت

هنالك أربعة أشكال بلورية شفافة من أهم المواد المكونة للاسمنت والتي عندما « تتميه — Hydrate » تكوّن أو تساعد على تكوين المواد الصلبة التالية :

- « السليكات ثلاثية الكالسيوم — Tricalcium Silicate $3CaO.SiO_2$ » وتعتبر المادة الرئيسية التي تكسب الاسمنت خاصتي المتانة والقوة في المراحل الأولية من استعماله ، وتتراوح نسبتها في الاسمنت بين ٤٥ إلى ٦٥ بالمائة .
- « السليكات ثنائية الكالسيوم — Dicalcium Silicate $2CaO. SiO_2$ » وهي مادة بطيئة التميه، ومن خصائصها أنها تكسب الاسمنت القوة والمتانة على المدى البعيد ، وتتراوح نسبتها في الاسمنت بين ٢٥ و ٣٥ في المائة .



يتفقد القائمون على عملية ضخ الاسمنت حالة الصمامات التابعة للمضخة قبيل وصلها بفوهة البئر .



يدفع الاسمنت إلى داخل البئر بواسطة مضخات خاصة على شكل خليط سائل وذلك بعد مزجه بالماء .



تبدأ عملية دفع الاسمنت إلى داخل الآبار بعيد انزال مواسير التغليف وذلك بمساعدة أجهزة الحفر .

• « ألومنيات ثلاثية الكالسيوم — Tricalcium Aluminate » $3CaO. Al_2O_3$ وهي مادة سريعة التميه ، وأهميتها أنها تعطي معظم الحرارة الناتجة عن عملية تكوين مزيج الاسمنت ، وتبلغ نسبتها في الاسمنت حوالي ١٥ في المائة .

• « الومنيات الحديد رباعية الكالسيوم — Tetracalcium Aluminoferrite » $4CaO. Al_2O_3. Fe_2O_3$ وهي مادة ذات تأثير بسيط على خواص الاسمنت الطبيعية .

استعمالات الاسمنت في إنجاز آبار البترول

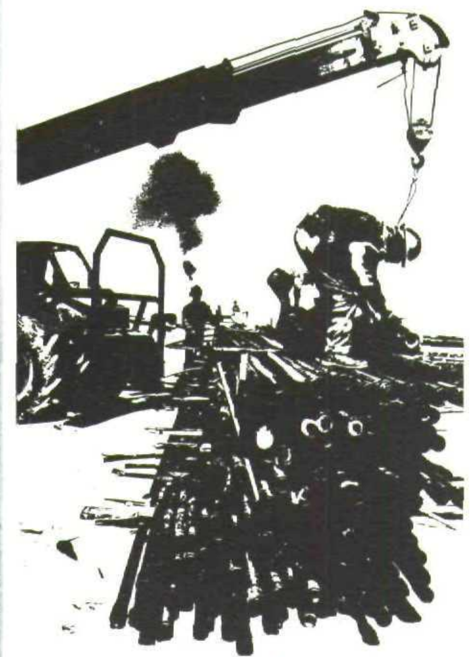
يشكل الاسمنت مرحلة رئيسية في صناعة الزيت . فهو يستخدم في مجالات عديدة من أبرزها أنه يساعد على :

• تثبيت أنابيب التغليف (التبطين - Casing) في الآبار ، وفصل الطبقات الصخرية الحاملة للماء عن البئر . وتعتبر هذه العملية من أهم العمليات المتممة لعملية الحفر .

• دفع الاسمنت بقوة خلال الثقوب الموجودة في أنابيب التغليف (Squeezing Jobs) وذلك لمنع دخول أي سائل أو لمنع اتصال السوائل (Communication) في الطبقات المختلفة للبئر .

• منع وصول الماء المرافق للزيت في المكمن (عادة يكون تحت الزيت مباشرة في مناطق أطراف التركيب الجيولوجي الذي يحوى الزيت فيه) إلى قعر البئر ، حيث يملأ الجزء السفلي من قاع البئر بالاسمنت « Plugging Back » ويترك ليجف مكوناً بذلك حاجزاً منيعاً يحول دون تسرب الماء وخروجه مع الزيت الخام إلى فوهة البئر .

وهذا الاسمنت الجاف يدفع إلى البئر بواسطة مضخات خاصة على شكل خليط سائل وذلك بعد مزجه بالماء ، وتتراوح نسبة هذا الأخير بين ٤٠ و ٥٥ بالمائة . ويضاف إلى الاسمنت الجاف عادة المواد والاضافات المقررة لتلك العملية . وفي حالة تثبيت أنابيب التغليف ، يدفع الاسمنت في داخل هذه الأنابيب ، وباستعمال طريقة « الازاحة بالماء أو بطين الحفر — Water or drilling mud Displacement » يندفع الاسمنت وهو في حالة الميوعة ليملأ الحيّز الحلقي ما بين الأنابيب وجدران البئر بعد حفرها ، وفي هذا الحيّز يبدأ الاسمنت بالاندفاع نحو العمق المقرر أو حتى السطح في معظم الأحيان حيث يسترجع بعض منه للتأكد من اتقان عملية تثبيت الأنابيب وكذلك للتأكد من ملء الحيز ما بين الأنابيب وجدران البئر بالاسمنت .



رجال الحفر أثناء نقلهم الأنبوب (Cementing Head) الذي يدفع من خلاله الاسمنت إلى البئر ، تمهيداً لتثبيته على فوهة البئر في أعلى أنابيب التغليف .

ولعملية دفع الاسمنت تستعمل « انابيب الانتاج – Tubing Pipes » أو « أنابيب الحفر – Drill Pipes » وذلك بضغط عال من خلال ثقوب توجد في أنابيب التغليف للتأكد من عدم دخول أي سائل إلى المكمن أو فصل احدى الطبقات وما تحويه من سوائل عن غيرها من الطبقات كما تستعمل هذه الأنابيب أيضاً في «عمليات الحجز – Plug Back » في قعر البئر لمنع الماء من الدخول إلى المكمن وخروجه مع الزيت .

وتستخدم في عملية دفع الاسمنت في الآبار ، معدات وأجهزة مختلفة منها الحواجز « Plugs » والوصلات المختلفة كتلك التي تحتوي على صمام يسمح بخروج الاسمنت ولكن لا يسمح برجوعة « Cement Float Collar » ، والوصلة التي تثبت في قعر أنابيب التغليف « Float Shoe » ، وهناك بالطبع الأداة التي يدفع من خلالها الاسمنت إلى البئر وهي تثبت على فوهة البئر في أعلى أنابيب التغليف « Cementing Head » .

إن المعدات اللازمة لخلط الاسمنت يجب أن تكون قادرة على إنجاز العمل المطلوب بالسرعة الفائقة ، وبالنسب الدقيقة للاسمنت والماء حسب المواصفات الموضوعة ، كما تستعمل



جهاز للحفر أثناء قيامه بسحب أنابيب الحفر من داخل البئر استعداداً لعملية ضخ الاسمنت .

خليط الاسمنت والماء يملأ الحيز الحلقي

مواسير التغليف

قطر الثقب
Hole Size

رسم توضيحي لعملية دفع الاسمنت إلى آبار الزيت .

أنواع كثيرة ومتنوعة من المعدات في خلط الاسمنت الذي قد يستهلك منه أطنان عديدة في عملية واحدة . والطريقة البدائية لخلط الاسمنت كانت تتم بالأيدي وفي صناديق خشبية ، حيث يصب الاسمنت حول أنابيب التغليف . وأما الطريقة الحديثة لخلط الاسمنت فتتم باستعمال أجهزة الضخ ذات الضغط العالي حيث تمتص خليط الاسمنت والماء « Slurry » بعد مزجه في خزان صغير أو قمع ، وتدفعه بعد ذلك داخل أنابيب التبطين لتتم ازاحته بالماء أو بطين الحفر وذلك بعد الانتهاء من مرحلة مزج ودفع الكمية المطلوبة من الاسمنت . وعملية الازاحة هذه تقوم بتوزيع خليط الاسمنت حول الأنابيب وذلك من خلال وصلة أنابيب تكون في قعر البئر – Float Collar . وتستعمل لهذا الغرض عادة مضختان كبيرتان تثبتان على ظهر سيارة خاصة .

أنواع الإسمنت المستعملة في عمليات صناعة الزيت

هنالك توصيات معينة وضعت من قبل معاهد البترول العالمية بالنسبة إلى فحص الاسمنت وتقويمه والاضافة الواجب استخدامها وأثر كل واحدة منها على خواص الاسمنت الطبيعية والكيميائية من وزن ولزوجة والوقت اللازم

لجفافه وتماسكه وغير ذلك . وقد قام معهد البترول الامريكي (API) بتقسيم أنواع الاسمنت المختلفة والمستعملة في عمليات الحفر إلى سبعة أنواع مختلفة حسب المواصفات الطبيعية والكيميائية ، وحسب أعماق الآبار التي سيستعمل فيها الاسمنت ، وحسب معدلات درجات الحرارة والضغوط الواقعة على تلك الأعماق . وتفحص عينات من الاسمنت في المختبر بحيث توضع في الظروف المشابهة لظروف البئر وأنابيب التغليف كالضغط ودرجة الحرارة والسوائل الموجودة في البئر ، إلى غير ذلك من العوامل الواجب أخذها بعين الاعتبار لدى تقويم عملية خلط الاسمنت ودفعها في الآبار ، كما يجري في الوقت نفسه فحص مدى متانة الاسمنت وقوة احتماله بعد جفافه ، وكذلك قوة التصاقه بأنابيب التغليف . وهذه الصفات مجتمعة مهمة جداً في عمليات الحفر للتأكد من أن أنابيب التغليف أو التبطين مثبتة تماماً في البئر .

إن هذا التنوع في استخدام أنواع متعددة من الاسمنت في عمليات حفر آبار الزيت أو الغاز يعود ولا شك إلى الاختلافات العديدة في ظروف الآبار التي تحفر في مناطق متباينة وحقول مختلفة . أما بالنسبة للمواد الاضافية التي يراد اضافتها إلى نوع معين من الاسمنت يشتمل على مواصفات معينة مغايرة لتلك المواصفات المتعارف عليها ، فانها تشكل عاملاً مهماً في أية عملية من عمليات حفر آبار الزيت . وتستعمل هذه الاضافات عادة لزيادة أو انقاص الوزن النوعي للاسمنت ، ولزيادة الحجم باستعمال مواد خفيفة وذلك للاسراع أو التأخير في الوقت الذي يبدأ فيه خليط الاسمنت بالجفاف ، وكذلك لزيادة نسبة متانته ، أو لانقاص كمية الماء الموجودة فيه .

ومن المواد المهمة الأخرى المستعملة كاضافات للاسمنت هي : كلوريد الكالسيوم ، كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) والمواد البركانية المختلفة وغيرها .

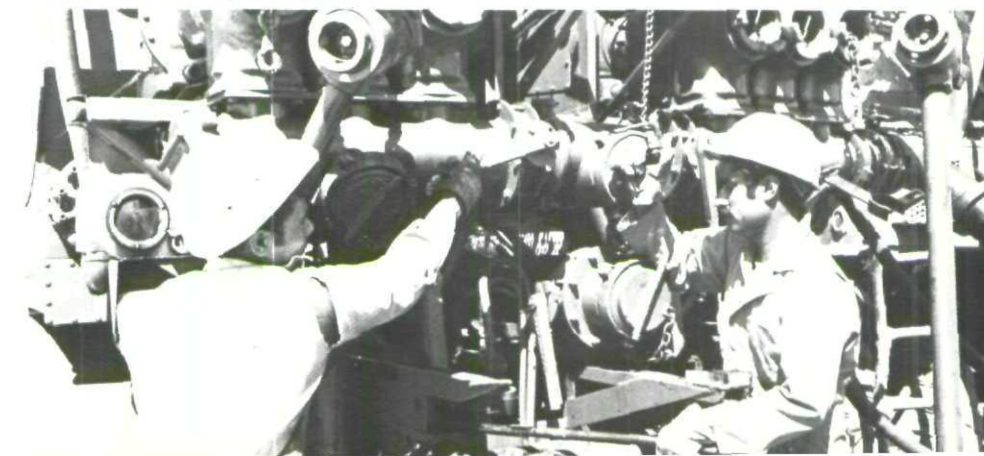
وهكذا يعتبر الاسمنت من المراحل الأساسية التي يعول عليها في صناعة الزيت . فعلاوة على استعماله في عمليات الحفر وتثبيت أنابيب التغليف في الآبار ، فانه يستعمل أيضاً في بناء القواعد والاساسات لجميع المنشآت والمعامل البترولية ، وكذلك في بناء أرصفة التحميل ومنصات التجميع والمراقبة وغير ذلك من الانشاءات التي تتطلبها هذه الصناعة الحيوية المتشعبة سواء على اليابسة أم في المناطق المغمورة ●

فتحي أحمد يحيى — الظهران

احدى مراحل الاعداد لعملية دفع الاسمنت إلى قلب البئر عبر أنابيب باستعمال طريقة الازاحة بالماء او بطين الحفر .

جانب من مراحل عملية ضخ الاسمنت في بئر للزيت ، وتظهر في الصورة احدى المضخات الخاصة بذلك .

تصوير : شركة التصوير الوطنية



صور الحيوان في الشعر الاسلامي

— ٢ —

بقلم: الدكتور مصطفى عبد الواحد

لقد كان الشاعر الجاهلي يجد من دواعي الوصف ما لا يجده الشاعر الأموي ، كان الشاعر الجاهلي يرى في الناقة أو الفرس قوام حياته ومناط أمنه وبقائه ، فلا غرو أن كان يعبر عن علاقته بها ونظرته اليها ويختار لها من الأوصاف ما يجمل في العين ويبهر . .

أما الشاعر الأموي ، فقد كان موقفه من وصف الحيوان بدافع المنفعة أضعف وأقل شأناً من سلفه . . لقد عرف العرب في ذلك العصر الاستقرار في المدن والأمن في الحياة ، كما عرفوا ألواناً من الحضارة لم يعرفها من قبلهم . . ولكنهم مع ذلك كانوا يرتبطون بالصورة الجاهلية في الوصف ، وإن لم يبلغوا فيها ما بلغه الجاهليون من الدقة والاجادة . وكانوا يجشمون أنفسهم عناء الوصف ولو لم يكن وراءه تجربة تملك عليهم مجامع القول .

يذكر ابن قتيبة عن الأصمعي أن هشام بن عبد الملك كان مسبّقاً لا يكاد يسبق ، فسبق ذات يوم على فرس له أنثى وصلى (١) على ابنها ، ففرح وقال : عليّ بالشعراء .

قال أبو النجم العجلي : فدعينا فقيل لنا : قولوا في هذه الفرس السابقة وفي ابنها . فقال أصحاب القصيد : أنظرنا حتى نقول . وقلت في مقامي ذلك : هل لك في رجل ينقدك اذا استنسئوك (٢) :

— قال : هاته : فقلت من ساعتي :

أشاع للغراء فينا ذكرها
قوائم عوج أطعن أمرها
وما نسينا بالطريق مهرها
حين نقيس قدره وقدرها
وضبره اذ أوعثا وضبرها
والماء يعلو نحره ونحرها (٣)
ملبونة شدّ المليك أسرها
أسفلها وبطنها وظهرها (٤)
قد كاد هاديها يكون شطرها
لا تأخذ الحلبة الا سؤرها (٥)

فهذا وصف شبيه بالمدح ، أو هو وصف رسمي يبتغي به الشاعر الصلة من الخليفة ، فلا نسب بينه وبين العاطفة ، بل لا مدخل له

---

(١) صلى : جاء تاليا . .
(٢) استنسئوك : وعدوك بالقول
(٣) الضبر : وثب الفرس جامعاً قوائمه . أوعثا : جريا في الوعثاء . وهو السهل الكثير الدهس تغيب فيه الأقدام .
(٤) الملبونة : التي سقيت اللبن وربيت عليه .
(٥) هاديها : عنقها . وسمي هاديا لتقدمه .

في تخير الصور الفنية عن صدق واقتناع . ولقد كان ذلك الوصف المتكلف الذي يرضي به الوصاف غيره ويبتغي به نواله يجري على أوابد الحيوان كذلك ، وعهدنا بالشعر الجاهلي أنه كان يختار من مناظره ما يشاء ويضعه حيث يريد من التصوير والتمثيل .

فهذا عبد الملك بن بشر بن مروان يقول لأبي النجم : انعت لي فهودي هذه فيقول أبو النجم :

جـاء مطيع بمطاوعـات
علّمـن أو قـد كن عالمـاتِ
فهي ضـوار من مضريـات
تريك آمـاقـاً مخطّطـات
سوداً على الاشداق سائـلات
تلـوي بأذنـاب موقّفـات
حتى إذا كـن على المجـرات
حيث تظـن الـوحش آخـذات
قـال ألستن بنـازلات
فسكّر الطّـرق بمطرقـات
ثم حـدون الوحش مقبـلات
فـوالبتهـن مشمـرات
فلـو ترى التيوس مضجعـات
علمت أن ليس بسالمـات
أقـول اذ جئن مذّبحـات
على الاكافـين معـدّلات
مـا أقرب المـوت من الحياة (٦)

ورغم أن الحضارة كانت قد أظلت العرب في العصر الأموي إلا ّ أن وجدانهم كان متعلقاً بالبادية وخيالهم كان دائماً يطيف بصورها ، حتى ان الفرزدق – الذي ولد بالبصرة ونشأ بها – يفضل الصحراء وطرقها التي تقطعها الابل على ركوب السفن في الأنهار ، ويعقد مقارنة بين السفينة والناقة مما يجعل الناقة راحلته الأثيرة ، فيقول :

لفلـج وصحراواه لـو سرت فيهمـا
أحبّ الينا مـن دجيل وأفضلُ (٧)
وراحلة قـد عوّدوني ركوبهـا
وما كنت ركّاباً لها حين ترحل (٨)
قوائمهـا أيدي الرجال اذا انتحت
وتحمل من فيها قعوداً وتحمل (٩)
اذا ما تلقّتها الاواذي شقّهـا
لهـا جؤجؤ لا يستريح وكلكل (١٠)
اذا رفعـوا فيهـا الشراع كأنهـا
قلوص نعـام أو ظليم شمردل (١١)

ولا يكـاد وصف الفرزدق لناقتـه يختلف عن الوصف الجاهلي إلا في لمحات قليلـة ، كتشبيهه لهـا بالسفينة (١٢) . . وغير ذلك .

ولكن الملاحظ في وصف الشاعر الأموي لناقته أنه لم يكن يحفل بوصف أعضائها بالتفصيل الذي كان يعنى به الشاعر الجاهلي ولم يكن يعنيه أن يشبهها بصور أخرى وحشية أو غير وحشية كما كان يصنع سلفه ، وإنما كان أكبر همه أن يصور ما لقيت ناقته من عناء في طريقها إلى الممدوح ليستوجب الصلة وينال حسن الجزاء . وهذا هو المطّرد في شعر الفرزدق ، لا تجد في ديوانه قصيدة وصف بها الناقة وصفاً منفرداً لا يرتبط بالمدح ، ولا تجد فيها وصفاً يخلو من تصوير عناء الرحلة ووعثاء الطريق .

تلك هي الروابط والمشابه التي تجمع بين صورة الحيوان في الشعر الجاهلي وبين صورته في الشعر الأموي ، وهي صلات لا سبيل إلى إنكارها . توائم ملامح البيئة وتسير مع سنة التطور .

° ° °

ومن جهة أخرى فلقد جد في العصر الأموي لون من شعر الحيوان لم يكن في متناول الشعراء الجاهليين .

شعر ينفذ إلى النفس ويصور أحاسيسها ، ويشف عن نظر جديد إلى الطبيعة فيه التأمل وفيه الاعجاب والشفقة .

وكان لنشأة هذا اللون عوامل بارزة أحدثت أثرها في تطور الفكر والأدب في العصر الأمـوي ، وأهمها : مـا طرأ على الفكر العربي من احساس عميق بالحياة ومن نظر إلى الكون نظرة تدبر وتفهم ، وذلك بتأثير الاسلام الذي أحدث في الحياة العربية انقلاباً هائلاً فبدل العقائد والأفكار ، ووجه العرب إلى آفاق جديدة لم يكن لهم اليها قبله من سبيل . ومنها كذلك ما شمل العرب من استقرار ودعة وطمأنينة إلى الحياة ، جعلهم يتعاطفون معها ويسعدون بها ، ويفارقون ما ألفوه من قبل من غلظة وجفاء ومن نظر إلى الأمور بعين المنفعة وانعطاف معها بدافع الغريزة .

فهذا الفرزدق وهو الجافي الغليظ الذي لا يحفل بالعواطف كثيراً ، ترد في شعره صور رقيقة يتعاطف فيها مع الحيوان ويرق لما يصيبه ، فيكشف بذلك عن احساس جديد طرأ على الشعر العربي في موضوع الحيوان . . يقول الفرزدق :

وليلـة بتنا بديـر حسّان نبهت
هجوداً وعيسا كالحسيّات ضمّرا (١٣)
بكت ناقتي ليلا فهاج بكاؤهـا
فؤاداً إلى أهل الوريعة أصْوَرا (١٤)
وحنّت حنيناً منكراً هيجت بـه
على ذي هـوى من شوقه ما تنكّرا
تروم على نعمان في الفجر ناقتي
وإن هي حنّت كنت بالشوق أعذرا
تساق وتمشي بالجريض ولم تكـن
من الليث أن يعـدو عليهـا لتذعرا

أليست هذه نغمة جديدة في وصف الناقة تتعلق بالمشاعر أكثر مما تتعلق بالحس ؟ . . لا ترى فيها جنوحاً إلى وصف الأعضاء ولا تصويراً لمبلغها في السرعة ، وإنما ترى فيها الحنين والشوق والبكاء والملالة والإعياء ، وهو نوع جديد من الاحساس نحو الناقة .

---

(٦) الشعر والشعراء ص : ٥٨٨ (٧) فلج : واد بالبصرة من منازل عدى بن جندب ودجيل : نهر تصب فضلته في دجلة . (٨) ترحل : تهيأ وتوضع فيها الرحال يريد السفينة . (٩) قوائمها : مجاديفها في أيدي الملاحين . (١٠) الاواذى : الأمواج الشديدة – والجؤجؤ : بطن السفينة . والكلكل : صدرها . (١١) الظليم : ذكر النعام . والشمردل : الطويل (١٢) ديوان الفرزدق ص : ٥٣٤ . (١٣) الحسيات : القسى . (١٤) الأصور : المائل .

بل ان الفرزدق ليعذر الذئب اذا عدا على الغنم ويرحم بؤسه وجوعه ، وكأن له حق الحياة والشبع كما لسائر المخلوقات ! فقد كان الفرزدق في فتوته يرعى على أمه غنماً ، فأغار عليها الذئب فأخذ كبشاً فلما راح اليها لامته فقال :

تلوم على أن صبّح الذئب ضأنها
فألوى بكبش وهو في الرعي راتعُ
وقد مر حولٌ بعد حولٍ وأشهر
عليه ببؤس وهو ظمآن جائع
فلما رأى الأقدام حزماً وأنه
أخو الموت من سدّت عليه المطالع
أغار على خوف وصادف غرّة
فلاقى التي كانت عليها المطامع

وتلك روح جديدة تنظر إلى الكون كله وتتأمل في الطبيعة على سعة ولا تحفل بالنفع والضرر ، كما هو طابع الحياة الفطرية في العصر الجاهلي .

ونحس ذلك الاحساس ونحن نقرأ وصف الفرزدق لحنان القطا على فراخه واطعامه لها ، وهي صورة لا نظير لها في الشعر الجاهلي الذي كان لا يلتفت إلا إلى المخوف المهول أو النافع الصالح من الحيوان (١٥) .

وإذا كان هذا شأن الفرزدق وهو الشاعر الهجّاء الغليظ الحسّ فما بالنا بمن عداه من الشعراء الامويين الذين انفتحت قلوبهم على الطبيعة حية أو ساكنة فنفذوا إلى أسرارها ورسموا لها لوحات معبرة .

وعلى رأس هؤلاء يقف شاعر رقيق الوجدان دقيق النظر ، كان قلبه يعمر بالمشاعر النابضة والعواطف النبيلة ، هو ذو الرمة غيلان بن عقبة . وهو شاعر صحراوي ولد في فيافي الدهناء ببادية اليمامة واشتهر بحبه لمية بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرية ، وقد ذكرها في أكثر شعره وكانت معيناً لا ينضب لعواطفه ومشاعره التي أفرغها في شعره . كما كان ذو الرمة ذكياً دقيق الفكر عميق التأمل ، حتى أن الكميت حين سمع قوله :

أعاذل قد أكثرت من قول قائل
وعيب على ذي الود لوم العواذل

قال : هذا ملهم ، وما علم بدوي بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لذوي الألباب ؟ أحسن ثم أحسن (١٦) .

ومن كل ذلك كان تأمله في الحيوان جديداً ، وكان تعاطفه معه عميقاً ، ولا يمكننا هنا أن نستقصي كل ما ورد في ديوانه من تصوير للحيوان ، ولكننا نشير إلى مظاهر التجديد في شعره ، مما يعد تطوراً في نظرة الشعر الاموي إلى الحيوان .

فذو الرمة تظهر في شعره رقة العاطفة نحو الحيوان حتى ليفهم أحاسيسه ويصغي إلى مشاعره ، وهو بذلك يخرج من نطاق المنفعة والرهبة في وصف الحيوان إلى مجال الاحساس بالجمال والتأمل في الطبيعة . . أنظر إلى هذه اللوحة يصور فيها حنان الظبية على ولدها في قوله :

اذا استودعته صفصفا أو صريمة
تنحّت ونصّت جيدها للمناظرِ (١٧)
حذارا على وسنان يصرعه الكرى
بكل مقيل من ضعاف فواتر
وتهجره الا اختلاساً بطرفها
وكم من محب رهبة العين هاجر
حذار المنايا رهبة أن يفتنها
به وهي الا ذاك أضعف ناصر

فانك تحس معه بما يساور الظبية من قلق على ولدها وشفق عليه من المنايا ، وتتصور المفارقة بين حبها له وحنانها عليه وبين اضطرارها لهجره حتى لا تدل عليه السباع ، فهي موزعة العاطفة ممزقة الشعور ، فترثي لها وتنعطف نحوها . وهذه نغمة جديدة في تصوير الحيوان تعبر عن نظرة جديدة اليه ، بعيدة عن المشاعر الغليظة التي لم تكن ترى في الحيوان إلا أداة لهو أو مصدر متعة ..

أما الشاعر الاسلامي فقد تأثر بما أفاضه عليه دينه من رحمة يرحم بها كل ذي كبد رطبة ، فارتقى بمشاعره إلى درجة سامية من الشفافية والنقاء . . وذو الرمة نفسه هو الذي كان يرى في الظبية صورة محبوبته فيرق لها ويتمنى لها السلامة :

أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى
مشابه جنّبت اعتلاق الحبائل (١٨)

وفي موضع آخر يذكر ما بين ميّ والظبية من مشابه ، ويشير كذلك إلى عاطفة الظبية نحو ولدها وحنوها عليه :

ذكرتك اذ مرّت بنا أمّ شادن
أمام المطايا تشرئب وتسنح
تغادر بالوعساء وعساء مشرف
طلا طرف عينيها حواليه يلمح
رأتنا كأنا قاصدون لعهدها
به فهي تدنو تارة وتزحزح
هي الشّبه أعطافاً وجيداً ومقلة
ومية أبهى بعد منها وأملح

ومعنى ذلك أن ذا الرمة خلط العاطفة نحو الانسان بالعاطفة نحو الحيوان ، أو أنه ارتقى بالنظرة إلى الحيوان إلى درجة الانسانية ولم يعد يفرق في ميدان الجمال بين صورة وأخرى ، فهو مولع به أينما كان في انسان او حيوان .

والجديد في وصف ذي الرمة للحيوان كذلك أنه جعل هذا الوصف هدفاً في ذاته ، ولم يجعله مدخلاً إلى القصد كما كان يصنع الشعراء من قبل مما يدل على موقف ذاتي في النظر إلى الحيوان يكشف عن عاطفة مقصودة .

فكان ذو الرمة مفتوناً بالحيوان مقيماً بوصفه وتصوير حركاته وتسجيل مشاهده يخلط ذلك بعاطفته ويلقي فيه الضوء على أحاسيس الحيوان وبواعثه في أعماله ●

د. مصطفى عبد الواحد — القاهرة

(١٥) انظر ديوان الفرزدق ص ٦٠٣ (ط: الصاوي) . (١٦) الأغاني ٩/ ١١٣ . (١٧) الصفصف : الفلاة لا نبات فيها . والصريمة : القطعة المنقطعة عن معظم الرمل . نصت جيدها : رفعته . (١٨) ديوانه : ص ٤٩٥ .

قصة

حال الدنيا

بقلم: الأستاذ ابراهيم الناصر



أطبق الصمت على العم بلال ، وقد انزوى في ركن قصي من غرفته المظلمة ، ترسل حنجرته بين الفينة والأخرى كلمة لا اله الا الله ، فيتردد صداها في أرجاء الغرفة السابحة بالعتمة والصمت .. لا يؤنس وحدته سوى أصداء الأصوات التي تتدلق عبر الأبواب المشرعة ، أصوات أبواق العربات أو صفير القطار وضجيج الآلات التي تنطلق دمدمتها عنيفة مزمجرة ثم لا تلبث أن تخمد مثل موجة البحر لتعاود بعد الصمت المريب إرسال ذلك الضجيج المزمجر ..

(سبحان الله من كان يصدق ؟ لقد تغيرت الأحوال .. بئس الدنيا) .. وتداعى الصمت بجملة (لا اله الا الله) أعقبه همود مثل همود عاصفة تلتقط أنفاسها لا يسمع من خلاله سوى حشرجة صدر ضاق بما حوله فاسلم قياده إلى ما ينهمر على ذهنه من شحنات الذكريات .. إلى سنوات خلت لم تكن الحياة معقدة قط ، وكان العم بلال يعمل وقتها حفار قبور حيث ورث هذه المهنة عن أبيه الذي فضل الاقامة في حي (شلقة) ليكون قريباً من منطقة نشاطه ..

كان (شلقة) حياً مأهولاً ، يحده من الجنوب بوابة الثميري . ومن الشمال والغرب المقبرة الكبيرة في حين ان الجهة الشرقية منه تتصل بشارع أصبح سوقاً يعج بالحركة والحياة سحابة النهار وجزءاً كبيراً من الليل ..

كم هو غريب أن تنهض الحياة إلى جانب العدم في وئام وسلام .. ؟ هكذا الدنيا .. وانتابت العم بلال نوبة سعال حادة كادت تجعله يشرق بريقه فبصق على الجدار وهو يسعل متمتماً (الحمد لله .. لا حول ولا قوة إلا بالله) .. وأعاد جسمه القميء الذي طوحته نوبة السعال إلى الخلف مستنداً إلى الجدار وقد انحسر (اشماغه) .. المرقط من على رأسه ليكشف عن شعر أبيض جعد . وجبهة عريضة برونزية لوحتها الشمس ، وقد قبع تحت الجبهة أنف مفرطح وعينان مطفأتا البريق ، وشفتان كبيرتان وذقن ناتيء ، ينتظمها جميعاً وجه بيضاوي يتوسطه شارب رمادي ولحية يختلط بياضها في سوادها .

وتجشأ بصوت مسموع ليتمتم بتهدج (الحمد لله .. والشكر لله) ومن بعيد تناهى اليه نباح كلب ضال في ذلك الموهن من الليل . فانبسطت أساريره حين تصوره في طرف من

أطراف المقبرة التي طالما ذرعها وهو يقوم بواجبه أو يتفقد الراقدين فيها .

كان من عادة العم بلال أن يصحو باكراً ، لاداء فريضه الفجر في المسجد القريب من الحي يتخبط في الظلمة الحالكة التي تلف المدينة كلها بردائها الداكن ريثما ينبلج نور الصباح ، ثم يكر عائداً إلى البيت حيث (يصفّر) حتى الضحى ، ليستيقظ بعد ذلك لتناول افطاره الذي يتكون في العادة من القهوة والتمر ، وأحياناً يختتم وجبته بدورق لبن يتجرعه بتلذذ وهو يحمد الله على هذه النعمة لينطلق إلى الشارع انتظاراً لرزق يرسله الله له .

وحي (شلقة) هذا لا يختلف من حيث تنظيمه وتخطيطه عن بقية الأحياء ، اذ أن بيوته الطينية العالية وأزقته الضيقة الملتوية التي تسرح فيها الدواب والمواشي والكلاب والقطط تجعلك تحس دوماً انك وسط حي شعبي صميم .

تمضي الأيام فاذا حارة (شلقة) تستشعر زحفاً على حدودها الثلاثة . . لقد أقيمت ثمة عمارات شاهقة العلو تسبح بالأنوار طيلة الليل ، ودارات حديثة تحيط بها حدائق غناء مما جعل مباني (شلقة) تبدو منكمشة على نفسها لمنظرها الكالح . . تحس الحجل والمرارة والألم خوفاً من أن يكتسحها المد العمراني الزاحف . على ان سكان ذلك الحي لم يخيبوا أمل حارتهم الأثيرة . . فلقد حافظوا على طابعها القديم ولم يحاولوا إحداث أي تغيير فيها ربما بسبب الفقر فحسب . .

بيد ان الجيل الجديد من الأبناء تمرد على آبائه بالتدريج ، فالتأفف من مرأى القذى تحول إلى هجران للحي المعهود ، ثم الاستنكاف حتى من مجرد ذكره بل الانتساب له . .

ونهض العم بلال وهو يمسك بعصاه ليتوضأ . .

(ما أطول الليلة . . ؟ سبحان الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم) . . وملأت سمعه أصوات الديكة وهي تؤذن مختلطة بنباح الكلاب . . ما أروع هذه الأصوات الأليفة ، إنها تشعرك بنبض الحياة ويقظتها المبكرة بعيداً عن زيف المدنية . .

ومرقت سيارة مسرعة على الخط الاسفلتي الذي يحاذي أطراف الحي من الجهة الجنوبية أحدثت ضجيجاً مزق الصورة المشرقة التي جسدتها الرؤى المنبعثة من أعماق الذكريات . . ونهق حمار تلاه آخر فكان أن تعوذ العم بلال من الشيطـان الرجيم وهو ينهي وضوءه . .

وصر الباب مداعباً الصمت المريب . .

هذا هو (العاير) الذي سفح على ثراه أمتع أيام حياته مع لداته ليشهد الجلسات العامرة بالأحاديث والقصص ينسجها الخيال وإن بدا عقيماً ، إلا أن جمهرة المستمعين وهي تصغي بشغف وتلذذ تجعل المتحدث يمعن في سرد روايات بعيدة كل البعد عن الحقيقة . . ولكن أين هم رفاق الأمس . . ؟ لقد ذهبوا الواحد تلو الآخر . . وكان العم بلال نفسه – وهـذا امرٌ مافي سجـل الذكريـات – يتولى مهمـة لحدهم . . وهل يستطيع الآن أن يذرف دمعة واحدة ؟ . . لقد جف الدمع وأصبحت الحياة كريهة إلى نفسه فيستغرب إلى متى يستطيع انتظار نهايتها أو نهايته . . ؟

وتكدر ذهنه المزدحم بتلك الصور حين وقف به حبل الذكريات إلى ذلك الموضع الأليم . . أين أنت يا مساعد ، وسطام ، وأبو فتيلة . لقد سبقتموني إلى دنيا الخلود . . أما أنا فلم أعد أكثر من مجرد انسان لفظ الحياة واستغنت عنه هي الأخرى . . إنسان مقعد منسي حتى من أقرب الناس اليه . .

على مهل وهو يخوض البساط الأسفلتي اللزج بتقزز لأنه يذكره بالمستحدثات التي لم يكونوا قد عرفوها في سالف حياتهم وهو يتوكأ على عصاه ، حتى شارف مدخل الحي . .

يتعين عليه بعدئذ أن يعبر الشارع الاسفلتي الموصل إلى المسجد وفجأة سمع صوتاً حاداً . . صوتاً أصم أذنيه وأرعبه حتى جعل قواه ترتعد من فرط الغضب .

وانزلقت قدمه لعنف الصدمة التي أحدثها ذلك الصوت فتهاوى على الأرض وتدحرجت عصاه بعيداً عنه . . لبث ثمة لا يحير حراكاً . . كانت ساقه قد انكسرت كما قدر فسعير الألم يتلبس كل جسمه المنهوك . .

حاول أن ينهض ولكنه عجز عن تحريك ساقه المدماة . .

كان قد انبطح ثمة وسفافيد الألم تخز في جسده الأعجف . .

(ما هذا الصوت الغريب . . ؟ لا بد أنهم أتوا بما يسمونها مكبرات الصوت . . الله لا يجازي الذي ركبها . .)

وتمتم (لا حول ولا قوة الا بالله . . هذي نهاية الدنيا) .

حرّك رأسه بيأس . واتجه ببصره المنطفىء نحو حارته الحبيبة ، لعله كان يودعها إلى الأبد من خلال سماعه نباح الكلاب . .

وانثالت على ذهنه صور لماض أكثر ايغالاً . . إلى أيام طفولته حيث كان يلعب مع لداته (الكعاب) و (عظيم سرى) . . أو يصطادون الطيور (بالنبابيط) ويلاحقون الكلاب وغيرها من ضروب الألعاب الصبيانية . .

. . أين (بادية الجريش والقرصان) يتناولها من بعد الصلاة من قبر يفغر فاها بانتظاره ؟ . وشعر بأن قواه تخور . . ووعيه يفلت منه تدريجياً ، والدنيا تدور أمام عينيه وتدور .

(وينك يا ولدي صالح تشوفني وأنا بهالحالة . . ؟) .

ونفض رأسه بشدة على غير طائل . . انه يعاني من الهذيان . . أين هو . . ؟ ان نظره لا يسعفه في تحديد المرئيات . . ولكن أهذه هي الآخرة ؟ . . الموت حق .

وتنحنح شخص إلى جانبه ليقول له : الحمد لله على السلامة يا عم . . العملية نجحت . .

ولم يفهم شيئاً انما تذكر على الفور انه ما زال على وضوئه وانه لم يؤد صلاة الفجر .

يا خوي وين القبلة . ؟ ترى ما صليت الفجر . .

وحملق به زميله في دهشة . . فلقد كان الوقت منتصف الليل ، وأكثر المرضى صرعى في أسرتهم . . ولم يكد العم بلال يتحرك من سريره حتى عوى الألم في جميع أرجاء جسمه . . وكاد يصرخ متوجعاً بيد انه تمالك نفسه وألقى برأسه على صدره متمتماً

إيه . . يا دنيا . . ●

ابراهيم الناصر – الدمام

اخبار الكتب



* أحدث ما ظهر من المعاجم «معجم مصطلحات التكنولوجيا الكيميائية» وهو باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية . وقد صنفه الدكتور المهندس يحيى مصطفى العجماوي والمهندس حسن محمود اسماعيل وقدم له الدكتور المهندس حسن مرعي وأشرف عليه الدكتور المهندس أنور محمود عبد الواحد ، وصدر هذا المعجم المصور عن المؤسسة الشعبية للتأليف في «لايبزغ» بالاشتراك مع مؤسسة الأهرام .

* أعد العلامة الدكتور بدوي أحمد طبانة كتاباً كبيراً في جزئين عنوانه «المعجم البلاغي» يضم كل ما يتصل بعلوم البلاغة ألفاظاً وأبواباً وموضوعات وأعلاماً ومذاهب ، وقد استغرق اعداد هذا المعجم عشرين عاماً وهو الآن قيد الطبع .

* أحدث مسرحية شعرية للأستاذ عدنان مردم بك عنوانها «مأساة مايرلينغ» ، وهي مستمدة من القصة التاريخية المعروفة وتقع في أربعة فصول . وقد صدرت عن دار عويدات في طبعة تجمع بين أناقة الإخراج وجمال الشعر وجودة تمثيل المواقف المسرحية .

* من الكتب الاسلامية التي ظهرت اخيرا «أصول مذهب الامام أحمد» للدكتور عبدالله عبد المحسن التركي وقد صدر عن مطبعة جامعة عين شمس ، و «من فلسفة التشريع الاسلامي» للأستاذ فتحي رضوان وقد صدر عن الهيئة المصرية و «الاسلام ضرورة عالمية» للأستاذ زاهر عزب الزغبي وقد صدر عن الهيئة المصرية أيضاً .

* صدر في القاهرة كتاب كبير عنوانه «جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران» لمجموعة من الأساتذة المتخصصين في الدراسات الفارسية منهم الدكاترة محمد عبد العزيز مرزوق وعبد النعيم محمد حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد وأمين عبد المجيد بدوي وعبد الحكيم حسان وسيد مرتضى الشيرازي وطلعت أبو فرحة ونصرالله مبشر الطرازي . وقدم الكتاب الأستاذ يوسف السباعي والدكتور ابراهيم بيومي مدكور والدكتور نور الدين آل علي وصدر عن دار نشر الثقافة .

* دراسات أدبية أخرجتها دور النشر اخيرا منها «في رياض الفكر» للأستاذ عبد الرزاق البصير طبع الكويت ، و «الصحافة وقضايا الفكر الحر في مصر» للأستاذ فاروق أبو زيد ونشر الهيئة المصرية ، ومرقد الغزالي للدكتور عيسى صديق أستاذ تاريخ التربية بجامعة طهران وترجمة الدكتور علي أصغر حكمت ونشر مجمع الآثار القومي الايراني ، و «مدارس الأدب العالمي» للأستاذ نبيل راغب ونشر مجلة «الجديد» .

* بمناسبة انقضاء عام على وفاة الأديب عبد الحميد جودة السحار اصدر الناقد الفني الأستاذ عبد المنعم صبحي كتاباً عنه بعنوان «عبد الحميد جودة السحار مفكراً وأديباً وسينمائياً» وقدم له الأستاذ يوسف السباعي ونشرته الهيئة المصرية .

* صدر للشاعر الأستاذ رياض المعلوف ديوان من الشعر الوجداني الرقيق عنوانه «غمائم الخريف» طبع في مطبعة مار أفرام بلبنان . وقد ضم الديوان مجتزءات من أقوال الأدباء والشعراء والمفكرين في أدب رياض وشعره بلغات متعددة .

* صدر للشاعر السعودي الأستاذ محمد العامر الرميح ديوان من الشعر الرمزي عنوانه «جدران الصمت» نشرته دار مجلة الأديب .

* من كتب الطب وعلم النفس التي صدرت أخيراً «أنت وقلبك» للدكتور ابراهيم فهيم وقد نشر في سلسلة «اقرأ» لدار المعارف ، و «التحليل النفسي والعلاج النفسي» لروبرت هاربر وترجمة الدكتور سعد جلال ونشر الهيئة المصرية .

* بمناسبة بلوغ العلامة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة السبعين من عمره المديد باذن الله ، تعاون أساتذة الفلسفة في الجامعة المصرية على وضع كتاب أسموه «دراسات فلسفية» قدموه هدية إلى هذا العالم الذي كان من أوائل المشتغلين بالفلسفة الاسلامية في مصر وتربى على يديه جيل كبير من الأساتذة . وأشرف على اعداد هذا السفر الدكتور عثمان أمين ، وصدر عن الهيئة المصرية .

* من كتب التربية الجديدة : «فلسفة التربية وأثرها في تفكير معلمي المستقبل» للدكتور محمد جواد رضا ونشر جامعة الكويت ، و «الثورة التكنولوجية في التربية العربية» للدكتور عبدالله عبد الدائم ونشر دار العلم للملايين ، و «التربية في البلاد العربية : حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها» وهو كذلك من تأليف الدكتور عبد الدائم ونشر دار العلم ، و «التعليم العام في البلاد العربية : دراسة مقارنة» للدكتور محمد منير مرسي .

* في العلوم صدرت طائفة مختلفة من الكتب منها : «الفيزياء الذرية والمعرفة البشرية» لنيلز بور وترجمة الدكتور رمسيس شحاته ومراجعة الدكتور عبد المقصود النادي ونشر الهيئة المصرية ، و «الطحالب : أشكالها ونشاطها وأهميتها الاقتصادية» للدكتورين عبد الحليم نصر وصبحي كامل معوض ونشر جامعة الكويت ، و «الانسان والبحر» للربان عبد الفتاح الشافعي ونشر الهيئة المصرية .

* كتابان عن الحاسب الالكتروني ظهرا أخيراً هما «مقدمة في أسس النظم الحاسبة الالكترونية» للدكتور محمد فاروق الهيثمي ونشر مكتبة الأنجلو المصرية ، و «الحاسب الالكتروني» للأستاذ أحمد مصطفى الحداد ونشر الهيئة المصرية .

* أصدر الدكتور جلال شوقي كتاباً عن «ليوناردو دافنشي وبحوثه العلمية» نشرته الهيئة المصرية .

* «التاريخ أنياب وأظافر» عنوان كتاب جديد للأستاذ أنيس منصور نشرته دار الشروق .

* فرغ العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم من تحقيق ديوان «النابغة الذبياني» ، وينتظر صدوره قريباً .

* التراث الكامل للأديب الفلسطيني الراحل اسعاف النشاشيبي قام بجمعه وشرحه والتقديم له الأستاذ الدكتور كامل السوافيري ليصدر قريباً .

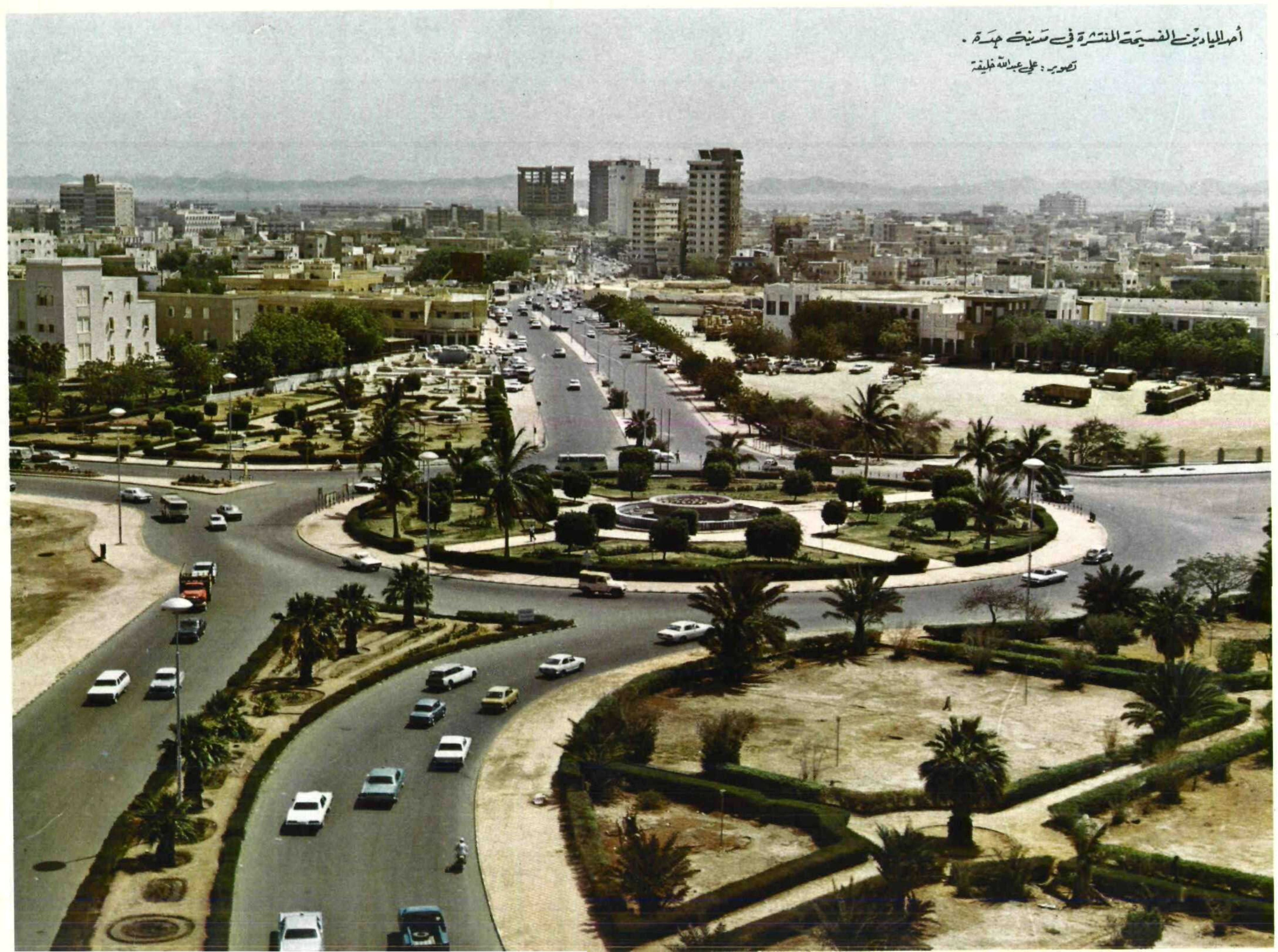
* تعكف أسرة فقيد التراث العربي العلامة محمد رشاد عبد المطلب على تنضيد أوراقه وتحقيقاته في التراث توطئة لاصدارها . هذا وعند الأستاذ عبد المطلب فهارس كاملة للمخطوطات العربية في جميع المكتبات العامة في العالم وفي كثير من المكتبات الخاصة . وكان يقصده جميع المشتغلين بالتراث في المشارق والمغارب لاستشارته وطلب عونه في بحوثهم ، مما سجلوه بعبارات الشكر في مقدمات كتبهم .

* ترجم الدكتور يوسف بكار رئيس قسم الأدب العربي بجامعة الفردوسي في مشهد بايران كتاب «سياست نامة» أو «سير الملوك» لينشر في سلسلة الكتب التي تتولاها هيئة اليونسكو باللغة العربية .

* وتحت الطبع للدكتور بكار رسالة عنوانها «الفارسية وآدابها في البلاد العربية» .

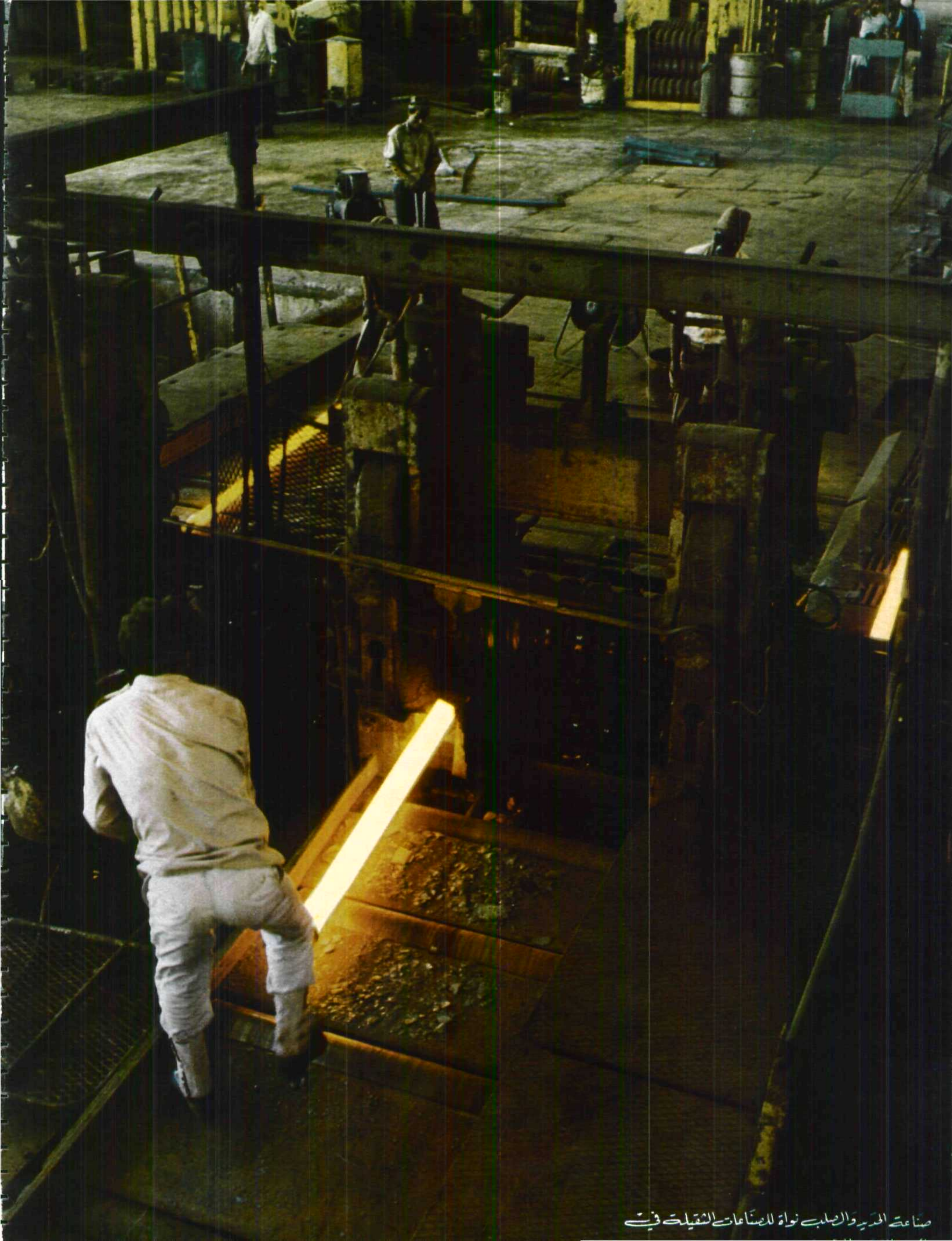
* «محكمة الصلح الكبرى» عنوان كتاب للأستاذ محمد ماضي أبو العزائم صدر عن دار الشعب .

* صدر في الرياض كتاب «أصول التنظيم والأساليب» للأستاذ محمد شاكر عصفور ●



أحد الميادين الفسيحة المنتشرة في مدينة جدة .

تصوير : علي عبدالله خليفة



صناعة الحديد والصلب نواة للصناعات الثقيلة في